

دولة ليبيا
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الزاوية
إدارة الدراسات العليا والتدريب
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها
شعبة الأدبيات
الاغتراب في الشعر الليبي (خالد زغبية، وحسن صالح أنموذجاً)
دراسة وصفية تحليلية
دراسة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الإجازة
العالية (الماجستير) في اللغة العربية وآدابها

إعداد الطالبة :
إشراف
سناء عبد المجيد المدير اللالي
أ. د. علي الالافي جولق

العام الجامعي 2025-2026م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

المجادلة : الآية (11)

الإهداء

إلى سبب وجودي في هذه الدنيا، ودافعي الأول لمواصلة رحلتي العلمية، أمد الله في
عمرها ومتعها بالصحة والعافية

أمي العزيزة

إلى من فارق الحياة ولم يفارق قلبي ، إلى من كان يتمنى أن يشهد هذا اليوم، إلى روح
والدي أهديك هذا الجهد، فهو من بعد الله ثمرة دعواتك التي كانت ترافقني دوماً. رحمك
الله يا من كنت كل الحياة

من سرى في عروقي وعروقهم دم واحدا من الوريد إلى الوريد، وأرتوينا بحليب أم
واحدة وتمنينا دائماً أن تجتمع قلوبنا على رأي سديد أخواتي الغاليات
إلى من سار معي نحو تحقيق هذا الحلم خطوة بخطوة بذرناه بأوراق الصبر معاً ،
وحصدناه معاً ، وسنظل بإذن الله معاً

زوجي العزيز

الشكر والتقدير

أتوجه بوافر شكري وتقدير إلى أستاذي الأستاذ الدكتور علي اللافي جولق الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة وما ولاني به من عناية وتوجيه ، حتى خرجت بهذه الصورة.

وإلى الأستاذات الفضليات اللاتي لهن عليّ فضل كبير بعد الله ، وهن فاطمة الطيب قزيمة، وربيعة الشريقي، وفوزية خفافة، وليلى سوسي ، حيث لم يبخلن في تقديم النصيحة والإرشاد، وبدلن من وقتهن وعلمهن الكثير ، فجزاهن الله عني وعن العلم خير الجزاء كما أتقدم بشكري وأمتناني لأعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة العربية، واللجنة المشرفة على مناقشة الرسالة.

الباحثة

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأعان ، وأنعم، وجعل القلم خطا مكتوبا والكلام رزقا مقسوما، وهو ولي كل نعمة، ومنه استمد العون والرشاد ، وبه أستعين وأصلي وأسلم على رسولنا الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين ،سيدنا محمد بن عبدالله ، وعلى آل سيدنا محمد ، وعلى أصحابه، وعلى القائمين بالحق من بعدهم إلى يوم الدين ..

وبعد :

الأدب رسالة سامية، والنهج الذي يسلكه الأديب شاق وصعب ، لكي يقدم لنا تصوراتهِ وخواطره عن الكون من حوله ، لتصير أفكاره مرآة تعكس مشاعره ووجدانه في طراز فني يزغزغ أحاسيسنا ويثير عواطفنا.

إنّ الحياة التي يعيشها الإنسان في تغير مستمرٍ من حيث الأحداث، وسُبل العيش والوقائع وفي تغييرها تحمل معها ما هو جديد يحتم علينا التعامل معه بشكل غير المألوفِ ، وحتى يتم الانسجام والتوافق يجد نفسه يعيش مشكلة في إحساسه بالانتماء إلى عالم غير المألوفِ له وهذه المؤشرات في مجملها يُطلق عليها مصطلح(الاغتراب).

فالاغتراب ظاهرة وجدت منذ ظهور الحياة البشرية على الأرض، وعاشها الكثيرون من الناس مما أرغمتهم في أكثر الأحيان على الرضوخ والاستسلام.

وسيرتهم في أحيابٍ أخرى إلى العصيان والتتمر فبعضهم كابد الاغتراب الطبقي الذي عبرت عنه ثورة العبيد ، وبعضهم الآخر عارض المبادئ الشائعة في مجتمعه رافضاً استحداث قيم جديدة ، ومنهم من جعلته الحروب يبتعد عن دياره ففقد وطنه، وأهله، مما يجعله يشعر بقسوة الاغتراب .

ولقد نال مفهوم الاغتراب مؤخرا عناية عدد كبير من الباحثين والمفكرين ، فأوجب نفسه على الكثير من المناشط الأدبية، وحاز منزلة ركيئة في كتب النقد الأدبي، والتحليل الاجتماعي، وبرز كقضية واضحة في الأعمال الأدبية والفنية .

ويمكن تصنيف الاغتراب إلى صنفين: الاغتراب عن الوطن ، والاغتراب داخل الوطن وكما هو معروف أن الشعر أقدر الفنون على احتواء مختلف الظواهر، والتعبير عنها تعبيراً فنياً متميزاً ، لذلك كان من أهم الأساليب التي أفصح بها الشعراء عن اغترباتهم.

ويعدّ الاغتراب في العصر الحديث موضوعاً محورياً ، إذ نجد بذوره لدى كثير من المفكرين تعبيراً عن إحساسهم بالعجز الداخلي في علاقاتهم الذاتية والنفسية والاجتماعية فيرسمها في شعره لوحات متعددة الأنماط ، يحاول من خلالها رصد تلك الظاهرة والتعبير عنها من خلال النص الشعري.

ولم يكن أدبنا الليبي بمعزل عن هذه الظاهرة وهذه التطورات التي طرأت على الأدب العربي بصفة عامة ، فقد تأثر بها ، وحاول الشعراء والأدباء تسجيل موقف وإبداء رأي حول هذه التغيرات التي حصلت ؛ لأنهم مثقفو المجتمع ، إليهم تصغى الناس وبهم يقتدون.

و من خلال الاهتمام بالتراث الشعري الليبي قرأت نتاج الشعارين والأدبيين (خالد زغبية وحسن صالح) ورأيت أن أقدم دراسة في شعرهما فهما يعدان من ضمن أهم أعلام الشعر الليبي المعاصر، حيث وقع الاختيار على الشاعر (خالد زغبية وحسن صالح) موضوعاً للدراسة الموسومة بـ(الاغتراب في الشعر الليبي خالد زغبية وحسن صالح أنموذجاً).

وقد اعتمدت الباحثة الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر (خالد زغبية) الطبعة الأولى للعام 2007م، و كما اعتمدت الباحثة للشاعر (حسن صالح) ديوان (بعد الحرب) منشورات دار النشر الليبية، وديوانه (أغنية العاشق)، فالشاعر عند كتابته للأبيات لم يرق بنقط التاء المربوطة، ولم يرسم همزة القطع بقطعنها، وكذلك في الأفعال المعتلة المجزومة بحذف حرف علتها، وعدم تشكيل الأبيات الشعرية لكلا الشعارين، وتخريج الآيات القرآنية برواية قالون عن نافع المدني، وعند ذكر المصادر أول مرة يذكر اسم المصدر كاملاً ، وإذا أعيد كتابة المصدر مرة أخرى يكتفي باسم الكتاب والصفحة .

أولاً - أهمية الدراسة :

يُعدُّ الاغتراب من أهم الظواهر ، التي يمكن أن تترصدها في كل أنماط الحياة وهي ظاهرة قديمة وجدت منذ وجود الإنسان ، والشعور بالاغتراب ليس حادثاً يطرأ على الإنسان ، بل مصدر أساس في تركيبه ، وقد اخترقت هذه الظاهرة مجال الإبداعات الأدبية ، ولعل ما دفعني إلى هذه الدراسة تأثير هذه الظاهرة على الأعمال الأدبية الشعرية لرواد الشعر الليبي (خالد زغبية وحسن صالح) شكلاً ومضموناً.

ثانياً - أهداف البحث :

تهدف الدراسة إلى الكشف عن ظاهرة مهمة وهي ظاهرة الاغتراب باستعراض مفهومه تحليل نماذج من شعر (خالد زغبية و حسن صالح) .

ثالثاً - أسباب اختيار الموضوع :

- فهم الصراعات الداخلية والانفصال الاجتماعي للفرد.
- الكشف عن أثر البيئة في تكوين الشعور والانتماء أو فقدانه.
- تحليل الأبعاد الجمالية والفنية في التعبير عن المعاناة الإنسانية.
- قلة الدراسات السابقة التي تناولت شعر الشعارين (خالد زغبية وحسن صالح).
- إسهام هذه الظاهرة في بلورة رؤى ومفاهيم شديدة العمق والحيوية في شعرهم.
- ومن أسباب الاختيار أيضا- ما يشهده العصر الحديث من تغيرات سريعة ، تتمثل في الحروب والهجرة والعزلة، والصراعات على الهوية.

رابعاً - مشكلة البحث :

يسعى هذا البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1 - مفهوم الاغتراب لغةً واصطلاحاً؟

2 - ما أنواع الاغتراب في الشعر؟

3 - كيف تتجلى ظاهرة الاغتراب في الشعر الليبي؟

4 - ما الوسائل الفنية التي استخدمها الشاعران للتعبير عن الاغتراب؟

خامساً - منهج البحث :

قد اتبعتُ في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في رصد هذه الظاهرة الأدبية ورصد المعلومات العلمية والمنطقية القائمة على أساس علمي والمتعلقة بهذه الظاهرة ، ثم الوصول إلى نتائج.

سادساً- الدراسات السابقة:

وجدت بعض الأوراق البحثية عن رواد الشعر الحر في ليبيا ومنها:

أ - الغربية والقلق في الشعر الليبي الحديث ، محد سلامه باكير / ورقة بحثية ، كلية التربية الجامعة الأسمرية ، مجلة علمه البيان مجلة علمية محكمة، العدد الثاني ، رمضان 1442 هـ / مايو 2021م.

وتهدف هذه الدراسة إلى :

رصد معاناة الشاعر الليبي ، وما يقاسيه من مرارة الغربة وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية :

1- من أهم أسباب شعور الشاعر بالاغتراب هو الفقر والسجن ، والاضطراب والتغيرات السياسية والاجتماعية و الاقتصادية في البلاد.

2- تميز شعراء الاغتراب في ليبيا عن غيرهم من شعراء عصرهم بأنهم لم يكونوا مدونين للأحداث فحسب ، بل كانوا يخوضون فيها بوجههم الحسى مما أكسب شعرهم المعاناة الصادقة .

ب -قضايا الشعر الليبي المعاصر، د - ربيعة أبو القاسم الواعر ، ورقة بحثية المؤتمر العلمي الدولي الأول لقسم اللغة العربية وآدابها -جامعة الزاوية-6-5- نوفمبر 2018م.

وتهدف هذه الدراسة إلى :

1- يعد الشعر جزءاً من مدونة ليبيا التاريخية التي يجب الاطلاع عليها ودراسة محتواها

2- خلق رصيد ثقافي ومعرفي في القضايا المطروقة في الشعر الليبي.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج :

1 -إن القضايا الانسانية تستمد في الشعر الليبي قواها من المبادي الوطنية والقومية.

2 - على الرغم من معاناة الشعراء إلا أنهم تمكنوا من إبراز أهم القضايا التي يعاني منها الإنسان.

(ج) - تقنية القناع في الشعر الليبي المعاصر ، مسعود عبدالله مسعود ، ورقة بحثية المؤتمر

العلمي الأول قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، جامعة الزاوية 6 - 5 نوفمبر 2018م.

تهدف هذه الدراسة إلى :

إظهار تقنية القناع في الشعر الليبي المعاصر ومدى استخدام شعراء ليبيا في العصر الحاضر لها .

وتوصلت هذه الدراسة إلى نتائج محاولة بعض الشعراء الليبيين المعاصرين والتستر والتخفي

وراء شخصية دينية أو تاريخية أو أدبية أو اسطورية ، ليبتثوا من خلالها ما تحمله عقولهم

من افكار ومعان ، فيقولون ما يريدون قوله خلف هذه الأتعة.

(د) - ملمح الأمل في الشعر الليبي الحديث ، فتحي رمضان القراضي ، ورقة بحثية ، مجلة

كليات التربية ، العدد الرابع ، 2016م.

وتهدف هذه الدراسة إلى :

مشاركة الشاعر الليبي أخاه العربي في التغني بالأمل إحساساً منه بمعاناة أبناء أمتة وإيماناً

منه بأن الحياة بلا أمل موت حقيقي.

أما ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج هي أن ما قاله الشعراء الليبيون في الوحدة العربية

والدعوة إليها حيث تعد السبيل الوحيد لانتصار العرب أكثر من أن يحصى.

سابعاً - هيكلية البحث :

قُسم هذا البحث على مقدمة و تمهيد وثلاثة فصول و خاتمة.

التمهيد - الاغتراب و أشكال المفهوم.

أولاً - الاغتراب في المعجم اللغوي

ثانياً - الاغتراب في المعجم الاصطلاحي.

الفصل الأول - أوليات الاغتراب في الحياة .

المبحث الأول - الاغتراب في التراث العربي.

المبحث الثاني - الاغتراب في الفكر الغربي.

الفصل الثاني - الاغتراب وأنواعه، ونماذج من شعر خالد زغبية وحسن صالح.

المبحث الأول - الاغتراب وأنواعه.

المبحث الثاني - نماذج من شعر خالد زغبية وحسن صالح.

الفصل الثالث - اللغة والصورة الشعرية في شعر خالد زغبية وحسن صالح:

المبحث الأول - اللغة الشعرية مفهومها وعناصرها.

المبحث الثاني - الصورة الشعرية وعناصرها.

والخاتمة جاء فيها ملخص لنتائج الدراسة .

المصادر والمراجع، حيث اعتمدت الباحثة على المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع،

وفي مقدمتها الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر خالد زغبية وديواني الشاعر حسن صالح (بعد

الحرب و أغنية العاشق)، والكتب المتعلقة بالاغتراب، وغيرها مما هو مثبت في قائمة

المصادر والمراجع.

وأسأل الله العون والسداد وعليه التوكل والاعتماد.

التمهيد

التمهيد

تتميز الشعرية الليبية بتنوع الظواهر التي تعكس جوانب مهمة من حياة الإنسان، ومن أبرزها ظاهرة الاغتراب، التي تُعد أكثر القضايا ارتباطاً بتجربة البشرية منذ القدم، وينشأ شعور الاغتراب لدى الفرد نتيجة لعدم الرضا الداخلي عن واقع الحياة التي يعيشها، وهو ما يمكن أن يكون له أسباب متعددة، ومنها الأسباب الاجتماعية، تمثل في الانسجام مع الآخرين، وصعوبة التأقلم مع عادات وقيم المجتمع المحيط به، وهناك أسباب سياسية، تتمثل في تقييد الحريات، والخوف من الاستبداد، والتسلط الذي يفرضه الحكّام على أفراد المجتمع، كما يمكن أن ينشأ الاغتراب من أسباب مكانية، مثل الهجرة القسرية أو تجربة العيش بعيداً عن الوطن، والأسر أو السجن، وتتعدد هذه العوامل مجتمعة لتخلق حالة من الاغتراب الوجودي لدى الإنسان، ومع تعدد وتنوع المؤثرات المرتبطة بهذه الظاهرة، بات من الصعب تحديد مفهوم دقيق وواضح للاغتراب، ورغم هذا التعقيد والغموض سيتناول التمهيد تقديم بعض التعريفات المتعلقة بالاغتراب من حيث اللغة والاصطلاح وتوضيح أبعاده المختلفة .

أولاً- الاغتراب في اللغة :

جاء مصطلح الاغتراب في المعاجم العربية بمعنى البُعد عن الأوطان، أو الابتعاد عنها، وقد ورد هذا المعنى في لسان العرب: "العَرَبُ: الذهاب والتتحي عن الناس، ونوى غربة: تنوي أن تأتيه في سفرك، والتغريب: البعد، وعَرَّبَتِ الكلابُ أَمْنعت في طلب الصيد وغربة وغرب عليه: تركه بعدا والغربة والغرب: النزوح عن الوطن والاغتراب(1)" أي الابتعاد عن الأهل والوطن، وأما في مختار الصحاح ف جاء معناه(غ- ر- ب) الغربةُ الاغتراب قول: تغرب واغترب بمعنى فهو غريب وغُرِبُ بضمّتين والجمع الغرباء، والغرباء أيضا الاباعد واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه، والتغريب النفي عن البلد، وأغرب جاء شيء غريب، وأغْرَبَ أيضا صار غريبا(2)، يصبح الإنسان مغترباً عندما يتزوج من خارج دائرة

1- لسان العرب لابن منظور، ج1، تح عبد الله على الكبير محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي دار المعارف 19 كورنيش النيل، القاهرة، ج،م،ع، ص3225.

2- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تح محمود خاطر مكتبة لبنان، 1995م، ص197.

أقاربه، مما قد يجعله يشعر بعدم التوافق أو الانسجام في البداية، نتيجة الاختلاف في العادات والتقاليد المتعارف عليها بين الطرفين.

أما في (مقاييس اللغة) (3)، فإن الاغتراب يرتبط أصل كلمة (غرب) بالجزر (الغين والراء والباء)، الذي يعكس معنىً صحيحاً، ورغم أن بعض الكلمات المرتبطة بهذا الجذر ليست مُشتقّة مباشرةً، إلا أنها تحمل صلة معنوية به، ومن هنا تجد أن (القرب)، يشير إلى حدود الشيء، فيقال (هذا غرب الشيء)، أما (الغربة) فهي تعني الابتعاد عن الوطن، كأن نقول (غربت الدار)، وهو ما يرتبط أيضاً بغروب الشمس الذي يُشبه الابتعاد عن وجه الأرض، ويتضح أن الألفاظ مثل (غُرْب)، و(تَغْرَب) و(القَرْبَة)، تشترك في دلالات البعد عن الوطن أو الانفصال عنه، لكنها تحمل دلالات مختلفة، على سبيل المثال، لفظة (غُرْب)، تدل على ترك الوطن بإرادة الشخص، أما (تَغْتَرَب)، فتعبّر عن الابتعاد عن الوطن نتيجة الإكراه أو الظروف القسرية، بالمقابل (القَرْبَة) تصف أحياناً شعوراً غريباً بالانفصال قد يعيشه الإنسان حتى عندما يكون في وطنه.

وأما في المعجم الوسيط، فجاء بمعنى: "غرب عن وطنه" بمعنى ابتعد عنه، و(الكلام غرابية) تعني أن الكلام غامض وخفي، الشخص الغريب يُجمع على (غرباء)، والجمع المؤنث (غربيات)، يجمع على (غراب)، الفعل (أغرب) يعني جاء بشيء غريب، أو غير مألوف، وفي الكلام يُقصد بها لإتيان بعارة غير واضحة أو بعيدة عن الفهم، أما فيما يتعلق بالأرض، فإن التغريب يدل على السفر البعيد، أو الابتعاد عنها، ويُقال في التعبير: (رمى فأغرب)، أي رمى إلى مسافة بعيدة، كذلك، (تغْرَب) يدل على النزوح عن الوطن، أو القرية والإحساس بالبعد والغربة (4) يدل مفهوم الاغتراب في اللغة بشكل عام على البعد، الابتعاد، والشعور بالضيق.

ثانياً - مفهوم الاغتراب اصطلاحاً :

3- ينظر، مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ج1، ص421، 420.
4- ينظر: معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة- مصر مكتبة الشروق الدولية، دار الدعوة، ط/4، 2008م، ص647.

أما الاغتراب اصطلاحاً، فهو مفهوم شائعاً لاستخدامه في الكتابات الأدبية والفكرية، و قد برز هذا المصطلح بشكل واضح ضمن سمات الشعر في العصر الحديث، حيث تناولت العديد من المؤلفات مفهوم الاغتراب نتيجة كثرة استخدامه في مجالات متعددة، ويتميز هذا المصطلح بالغموض والتعدد الدلالي، نظراً لاستخداماته المتنوعة التي تشمل مختلف جوانب الحياة النفسية، الذاتية، والاجتماعية، والدينية السياسية، وكذلك الزمانية، والمكانية، واللغوية، كما يعود هذا التباين في الفهم إلى اختلاف مناهج الفلاسفة والمفكرين الذين تناولوا هذا المفهوم من زوايا متعددة الذين أسهموا في تقديم مفهومه لهذا المصطلح وفقاً لفلسفته وأفكاره الشخصية، متأثرين بمجال بحثهم وتوجهاتهم الفلسفية(5) ."

تؤكد هذه التوجيهات أن الاغتراب ليس أمراً مقتصرًا على مجال واحد من مجالات الحياة، بل يظهر بمستويات متعددة تتفاوت تبعاً للثقافات الشعبية والمشاكل الاجتماعية والسياسية، وكذلك التطورات العمرانية والصناعية، وقد عرّف (جبور عبد النور) الاغتراب بأنه: " حالة من الغربة العاطفية التي تسيطر على الفرد وبالأخص الفنانين؛ إذ يعيشون في حالة من القلق والكآبة نتيجة شعورهم بالابتعاد عما يحبون أو يتطلعون إليه، ويمكن التعبير عن هذه العاطفة في صورتين: الأولى تكون حين يبتعد الإنسان عن الأماكن التي نشأ فيها وديار الأحبة، مما يدفع الفنان إلى التعبير عن مشاعره من خلال تخيلات ومعانٍ تختلف في جودتها وعمقها بحسب طبيعة الشخصية التي أبدعتها(6)" ، وأما الشكل الثاني فيظهر عندما يشعر الفنان بأن العالم كله أشبه بسجن رُجَّ فيه دون إرادته، مقيداً بقيوده، غارقاً في شروره وآلامه، حيث يسيطر عليه إحساس بالغربة بين أهله ومواطنيه، فيظل دائم التوق إلى عالمٍ آخر أفضل من هذا، مؤمناً بوجود ذلك العالم وبأنه سيجد فيه تحقيقاً لكل رغباته، الضمناً ينهش الأرض، شعور الاغتراب هو إحساس يمر به الجميع ويتفاوت تأثيره حسب شخصية الفرد وطبيعته، ومع ذلك يجد الكثيرون صعوبة في التعبير عما يدور في أعماقهم، بخلاف الشعراء والفنانين الذين يمتلكون قدرة فريدة على التعبير عن مشاعرهم بأسلوب عاطفي يعكس إبداعهم، وتفرد رؤيتهم ونظراً لحساسية الشعراء المرهفة، وانغماسهم في أحلامهم وعوالمهم المثالية، يرون أن العالم

5- ينظر: ملامح الاغتراب في شعر علي قودة ، وردود فعله عليه، مجلة إضاءات نقدية ،جامعة أزهة الإسلامية ،إيران عدد:27،أيلول2017م ،ص72.

6ينظر: المعجم الأدبي، جبور عبد النور ،دار العلم للملايين،ص،ب1085، بيروت،ص186.

الذي يعيشون فيه مليء بالعداوة والشور، مما يدفعهم للتطلع إلى أماكن أخرى يجدون فيها السعادة، والمثالية التي تنسجم مع مشاعرهم وحساسيتهم العالية والشعور بالغبرة ظهر بشكل ملحوظ في أعمال الرومنسيين، وبلغ ذروته في أشعار المتصوفين(7).

إن الشعراء الرومنسيين والمتصوفين هم من أبرز الشعراء الذين يسعون نحو تحقيق رؤية لمجتمع مثالي خالٍ من الكذب والنفاق والتصنع، والاعتراب يمثل حالة نفسية تجعل الفرد يشعر بالقلق، والتردد في بيئة لا يجد نفسه منسجماً معها، ويشعر باستمرار أنه مختلف عنها، ومن منظور(عبداللطيف محمد خليفة)(8)، يعد الاعتراب متعلقاً بشكل أساس بالبُعد النفسي، حيث يُصوّر كحالة شاملة تعكس الانقسام الداخلي والانهيار الذي يمكن أن تواجهه الشخصية نتيجة تأثير العوامل الاجتماعية، والثقافية في المجتمع المحيط، وبالتالي، يعد الاعتراب النفسي نوعاً من الاضطراب الناتج عن نمو مُشوّه للشخصية الإنسانية، حيث تفتقد إلى الشعور بالتكامل والانسجام مع ذاتها(9)، وعندما ينشأ الإنسان ويتعرض في مجتمع لا يتوافق مع قوانينه، ولا ينسجم معها، يتولد لديه شعور بعدم الرضا، وافتقاد التكامل الداخلي هذا ما أشار إليه (عمر بوقرورة) عند تناوله لمفهوم الاعتراب، حيث يتمثل في عدم تقبل الفرد للعادات والتقاليد والقوانين التي يُجبر على الالتزام بها، وتقديرها داخل المجتمع، مما قد يدفعه إلى رفضها أو التمرد عليها(10).

يرى (محمد منذر) "أن الاعتراب يمثل حالة نفسية تنشأ نتيجة العجز عن الموازنة بين القدرة، والطموح عندما يتعارضان، مما يجعل الفرد يشعر بالتشتت نتيجة هذا التعارض، ويعد هذا الشقاء حتمية يعبر عنها الناس بوصفها مرض العصر، حيث يلجأون إلى الشعر كوسيلة للتعبير عن معاناتهم والشكوى منه، أو للتمرد عليه"(11)

أي تضارب نفسي وفكري لدى الإنسان يؤدي إلى شعوره بالاعتراب والانفصال عن ذاته، وفي ذات السياق، ويعرف(قريرة نصر):"بأنه حالة ارتباك الذات في حيرتها، حيث تعجز تساؤلات النفس المتأرجحة عن الوصول إلى إجابات مرضية وعندما يتعذر ذلك، تصبح

7- ينظر: المعجم الأدبي، ص18.

8- دراسات في سيكولوجية الاعتراب، عبداللطيف محمد خليفة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة 2003م، ص19.

9- المرجع نفسه، ص19.

10- ينظر: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، عمر بوقرورة، منشورات جامعة باتنة، د، ط، الجزائر، دت، ص17.

11- الأدب ومذاهبه، محمد منذر، دار نهضة، مصر، ط6، 2006م، ص68.

الذات الشاعرة في حال من اليأس والرغبة في العجلة بالرحيل، مما يفتح النص نحو فضاء مليء بالإحباط واليأس" (12).

ويقصد بانفصال الفرد عن مجتمعه شعوره بالضياع والعجز عن فهم العالم الذي يحيط به، مما يؤدي إلى سيطرة شعور الاغتراب عليه، ويدفعه إلى مغادرة وطنه والانتقال إلى مكان آخر بحثاً عن الأمل والاستقرار.

كما أشارت (فاطمة قزيمة) في سياق آخر، "فإن فكرة أن الإنسان قد يكون بعيداً زمنياً رغم قربه الجغرافي هي فكرة تستحق الاهتمام" (13)، كون الزمن قوة مؤثرة، وفاعلة على الإنسان، ويبقى مفهوم الاغتراب محاطاً بالغموض والإبهام بالرغم من كثرة التعريفات المطروحة حوله، ولم يتحقق تحديداً واضحاً، ومحدداً لهذا المفهوم بسبب تنوع دلالاته التي تختلف بناءً على استخدامات، كل باحث مفكر، أو أديب طرح مفهوم الاغتراب وفقاً لرؤيته الشخصية، ونظراً لأن الاغتراب يمتد إلى مختلف جوانب الحياة، فإنه يشترك في سمات أساسية تشمل الانفصال عن المجتمع والعزلة، والعجز عن التكيف، والفشل في التأقلم مع الظروف السائدة، اللامبالاة وانعدام الشعور بالانتماء، وحتى فقدان الإحساس بمعنى الحياة (14).

12- الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريرة زرقون نصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2004، م1، ص50.
13- الاغتراب في شعر محمد الشلطي، فاطمة الطيب قزيمة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب الزاوية، المحلية الجامعة، العدد السابع عشر، المجلد الثاني، أغسطس، 2015، ص3.
14- ينظر، الاغتراب، أحمد أبو زيد مجلة عالم الفكر، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ع1، مج/10، 1979م، ص4.

الفصل الأول

أوليات الاغتراب في الحياة

المبحث الأول

الاغتراب في التراث العربي

المبحث الثاني

الاغتراب في الفكر الغربي

المبحث الأول - الاغتراب في التراث العربي :

توطئة :

يعود أدب الاغتراب إلى ما طرحته الفلسفة الوجودية، تصل بوجود الإنسان الحسي والمعنوي في الحياة، فالإنسان المعاصر إذا انتهى من مشاغله اليومية، استبد به القلق ، لقد كان الاغتراب - فكرا ورؤية وأحاسيس - شائعا في الكتابة الشعرية خلال عقود السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات في القرن العشرين، ربما بتأثر واضح من انتشار الفلسفة الوجودية في الإبداع الغربي متجلية في مذهبي السيريالية واللامعقول ، مع توافق - دون شك - مع ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية في بلادنا، وتختلف جذريا عما مرت به المجتمعات الغربية المعاصرة من حروب وتدمير وفقدان اليقين، ولكن نزعة الاغتراب التي نلاحظها كانت ضمن التأثير بالأدب الغربي الحديث بشكل عام، بجانب السقوط السياسي والاجتماعي والفكري الذي أصاب المجتمعات العربية، وزيادة تهميش الإنسان ، وفقدان معان الانتماء للوطن.

وفيما يأتي مفهوم الاغتراب لدى العرب والغرب :

أولا - الاغتراب في التراث العربي:

اعتمد الإنسان العربي في الماضي على حياة التنقل، والترحال من مكان إلى آخر بحثاً عن أماكن توفر له مقومات العيش الأساسية، مثل الماء والطعام، وهذا النمط من الحياة جعل الإنسان العربي يشعر بالاغتراب، والشوق، وكلما غادر موطناً اعتاد عليه، فالحنين إلى الوطن والشوق إلى الأماكن التي عاش فيها من قبل أمر متجذر في الفطرة البشرية، يرتبط بكرامة الإنسان واعتزازه بنفسه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ (15).

تَرَكَ الْمَنْزِلَ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ يَعَادِلُ الْمَوْتَ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ (16) ، يبذل الفرد كل نفيس وثمان من أجل الحياة في وطنه

15- سورة: النساء الآية 65.

16 - سورة: البقرة الآية: 244.

وبين أحبائه وأصدقائه، إذ ينفر من البعد والحرمان، فإذا اضطرت القبيلة إلى ترك أرضها، والانتقال إلى مكان آخر، يبقى الحنين متجذراً في القلوب نحو الأرض الأولى، وعندما يمر أحدهم بها، يقف متأملاً أطلالها، يذرف الدموع على ذكرياتها، وعلى من عاشوا فيها؛ لأن الأرض لا تحمل قيمة حقيقية دون أهلها وسكانها(17) ، الحرمان، والشوق، والحنين إلى الأوطان، جميعها تجتمع لتدفع الإنسان نحو حالة الاغتراب، ويعتقد الكثيرون أن هذا المفهوم مرتبط بالعصر الحديث وما جاء معه، لكنه في الواقع يعود إلى أقدم العصور، منذ نشأة المجتمعات الإنسانية الأولى ، ومع تكوّن هذه المجتمعات وما صاحبها من قوانين وتقاليد، نشأت مشاعر الحنين والغربة التي نجدّها في صلب الشعر العربي، وفي التجارب الإنسانية على مر التاريخ، تلك التقاليد والأزمات التي مر بها الأفراد أفضت إلى أشكال متنوعة من الاغتراب، بعضها أدى إلى تمرد الفرد على المجتمع ومواجهته وبعضها الآخر دفعه نحو الاستسلام، والانعزال، والانطواء على ذاته(18)وموضوع الاغتراب تجده حاضراً في العديد من التجارب الشعرية العربية، وفي مختلف العصور، بدءاً من العصر الجاهلي ووصولاً إلى العصر الحديث والمعاصر، وفيما يأتي تتبع للاغتراب عبر العصور الأدبية المختلفة :

أ . الاغتراب في العصر الجاهلي :

إن الاغتراب في العصر الجاهلي، حيث تقتضي طبيعة الحياة التي سادت في ذلك الوقت فرضت على الإنسان التنقل الدائم في مناطق الصحراء الشاسعة التي كان يعيش فيها، وبالنظر إلى حياة الإنسان في تلك الفترة، تجدها كانت رحلة لا تنتهي بحثاً عن الكلاً ، ومصادر المياه، ومتابعة مواقع سقوط الأمطار أينما كانت ولقد كانت الهجرة ، والتنقل ضرورة يفرضها واقع الحياة آنذاك، وهو أمر كان خارج إرادة الإنسان الجاهلي ولم يكن له سبيل لتجنبها أو التحكم فيها(19)، ولهذا فإن قصائد بعض شعراء العصر الجاهلي تبدأ بالوقوف على الأطلال، مستوحاة من تلك المشاعر، والأحاسيس المتولدة من حالتهم النفسية المضطربة، التي تملؤها

17- ينظر : الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، يحيى وهيب الجبوري، عمان، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، ط/1428، ص2008م ، من ص20.

18- ينظر : الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، محمد راضي جعفر، دار المعزز للنشر والتوزيع، الأردن، عمان ط1434، 1هـ، 2013م، ص15.

19-ينظر: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، سميرة سلامي، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط 2006م ص 69.

الغربة والحنين إلى أوطانهم، فالإغتراب يظل أحد المفاتيح لفهم دقائق حياة الجاهلي وتفصيلها، وأحد الوسائل للتعمق في معطيات عالمه الخاص، وهذا الإغتراب دفعهم أحياناً إلى شكل من الانطواء النفسي أو، على النقيض، إلى رغبة جامحة في تجاوز القيم والانفتاح على حقيقة الواقع، مهما تعددت أشكال هذا الانفتاح، هذه الحالة تعكسها لحظات الإحساس بالفقد أو الحرمان، أو تجربة الضياع، أو حتى الاستسلام لمواقف الهزيمة البشرية⁽²⁰⁾، ومن هذا المنطلق، بات الإغتراب يسيطر على مختلف جوانب حياة الشاعر، حيث يكون محاطاً بحالة من الضياع، والانفصال الروحي، وعند الحديث عن أبرز الشعراء الذين عانوا من محنة الإغتراب، وعبروا عنها في قصائدهم من خلال الوقوف على الأطلال وتذكر الماضي.

إن نظرة الشاعر إلى أفق الماضي تشكل القاسم المشترك الذي يجمع لوحات الطلل دون استثناء، ولذا يُعد الوقوف على الأطلال تجسيداً حقيقياً لمشاعر الشوق والحزن، وصيحة مؤلمة تعكس حياة تلاشت مع الزمن، وخير مثال على ذلك الشاعر (امرؤ القيس) الذي كان أول من وقف واستوقف، وبكى وشكا، لتصبح معلقته المشهورة (قفانبك) مثلاً يُضرب في هذا السياق بشهرتها ووقعها العاطفي،⁽²¹⁾ يُعدُّ واحداً من أبرز شعراء العصر الجاهلي الذين ذاقوا مرارة الغربة وشدتها.

يقول:

قفانبك من نكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمال

رُخاءً تسيح الريح في جنباتها

²⁰- ينظر الموقف النفسي عند الشعراء المعلقات، مي يوسف خليفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص17، 16.

²¹- ينظر ، مفاتيح القصيد الجاهلية، عبد الله بن أحمد الفيق، عالم الكتب الحديث، غريد الأردن، ط1، 2014م، ص20.

كسَاهَا الصَّبَا سُحْقَ المَلَاءِ المُنذِلِ (22)

يصور لنا الشاعر مشاعر الانهيار، والتذمر عندما يقف على أطلال بيت محبوبته مستعيدا الذكريات الجميلة التي عاشها معها، يبدأ قصيدته بفعل الأمر (قفا)، مخاطبا صاحبيه ليحثهما على التذكر معه لتلك الأيام التي قضاها في هذه الأرض التي أصبحت أطلالاً بعد رحيل محبوبته عنها.

أما الشاعر (عنتر بن شداد العبسي) الذي عاش ألم الاغتراب وهو في وطنه وبين عشيرته، فبسبب لون بشرته الذي ورثه عن أمه الحبشية، جعله يواجه التمييز والإقصاء (23)، وهذا الإحساس المؤلم جعله يعيش الضياع والتنمر والتفرقة، وهذا الشعور جعله يعيش حياة العنصرية، وخاصة عندما تحمل كراهية والده وعمه حيث كان لون بشرته شكلت حاجزاً حال بينه وبين حلمه بمعشوقته، يقول :

المَالُ مَا لَكُمْ وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ

فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي اليَوْمَ مَصْرُوفٌ (24)

يُظهر الشاعر مدى قسوة الاغتراب الذي كان يعاني منه نتيجة رفض قبيلته له ونفقتها عليه، فقد تعرض للتعذيب، والإهانة والإقصاء من أهله، مما جعله يتذوق مرارة الحرمان، ويطالبهم بالكف عن مضايقته، وتركه وشأنه، وأما الشاعر (طرفة بن العبد) فقد تمرد على القيم والمعتقدات السائدة في قبيلته، مما أدى إلى نفور المجتمع منه واستبعاده، (25) يقول:

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَدَّتِي

وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتْلِدِي

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي العَشِيرَةُ كُلُّهَا

22-ديوان: امريء القيس، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، شرح حسن السندوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط5 2005م ص110،

111.

23- ينظر : نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، لزهرة مساعدي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، شارع محمد مسعودي القبة القديمة، الجزائر، الطبعة1434هـ، 2013م، ص67.

24- ديوان عنتر بن شداد، تح/ محمد سعيد مولوي، مكتب الإسلامي، القاهرة، دط، 1964م، ص110.

25- ينظر: شرح القصائد التسع المشهورات، صنعه أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تح أحمد خطاب، القسم الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1993-1973، ص261، 262.

وأُفردتُ البَعيرَ المُعَبَّدَ (26)

يُبرز الشاعر شعور الاغتراب وما كان عليه من افتتان وانصراف عن التقاليد والعادات، وانجراره خلف اللهو وملذات الحياة، وزخرفها، هذا الأمر دفع قومه للتخلي عنه وهجره، مما جعله يعيش وحيداً، وما أشد قسوة أن يعيش الإنسان بين أهله ومجتمعه وهو منبوذ.

ب - الاغتراب في العصر الإسلامي :

أما عن الاغتراب في العصر الإسلامي، فقد اختلفت أسبابه عن تلك التي أوجده في الشعر الجاهلي، مع ظهور الإسلام، برزت بداية الاغتراب الحقيقي، حيث مثل الفتح الإسلامي انتقالاً كبيراً ومنظماً خارج حدود الجزيرة العربية، معلناً عن مرحلة جديدة من التغريب⁽²⁷⁾ حينما اعتنقت مجموعة من الأشخاص في قبيلة قريش الإسلام سراً، بدأوا يعيشون في حالة من القلق الدائم، والتوتر المستمر، حيث شعروا بالاغتراب وسط أهلهم وفي قبيلتهم بفعل ما تعرضوا له من تعذيب وإقصاء، هذا الواقع المرير دفعهم إلى ترك أرضهم والرحيل إلى الحبشة، سعياً للتخلص من الظلم الذي خيم على حياتهم، ورغم ما لاقوه هناك من ترحيب، إلا أنهم واجهوا صعوبة في التأقلم مع أهل الحبشة بسبب اختلاف العادات والتقاليد والقيم؛ فوجدوا أنفسهم يشعرون بالاغتراب أشد مما عانوه سابقاً، كان الحنين لوطنهم يملأ قلوبهم، والشعور بالغربة يتضاعف بسبب ابتعادهم عن موطنهم الذي آفوه ونشأوا فيه، كما أننا نجد النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد عاش تجربة الاغتراب أيضاً، عندما توجه إلى الطائف مع أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، وقد قوبلا بالإساءة، والتنكر من أهل الطائف، ما جعل النبي - عليه السلام - يشعر بوحشة الغربة وألمها في تلك اللحظة، وقد حفظت لنا كتب السيرة دعاءه المشهور الذي استعرض فيه قسوة تلك التجربة وما اعترى نفسه من ألم ووجع، قائلاً: "اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي! أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح

²⁶-ديوان: طرفة بن العبد، شرحه وقدمه له مهدي محم ناصر الدين، دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان، ص25.
²⁷- ينظر الاغتراب في الشعر الأموي، فاطمة حميد السويدي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1997، ص1، ص21.

عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحلّ عليّ غضبك أو ينزل بي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك⁽²⁸⁾ " هذا الدعاء يكشف عن صبر النبي وثقته بربه وحسن توجهه إليه في أحلك الظروف، وتحمله لما واجهه من غربة واضطهاد.

لهذا وصف الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - أصحابه المسلمين بالغرباء لقوله : " بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، كمبدأ ، فطوبى للغرباء ، وقيل : ومن الغرباء يا رسول الله، قال :الذين يصلحون إذا فسد الناس"⁽²⁹⁾، ويتبين مما جاء في الحديثين السابقين، إن الغرباء هم الفئة الصغيرة من المسلمين الذين اختاروا مفارقة معتقداتهم السابقة، وأصبحوا من أهل التوحيد والإيمان، بذلك، غدوا غرباء عن ذويهم وأهل مجتمعهم، من جهة أخرى، لم يكن الشعر في العصر الإسلامي أقل تأثيراً أو حضوراً مقارنة بالشعر في العصر الجاهلي؛ فقد تصدى المؤمنون للمشركين بألسنتهم كما تصدوا لهم بأسلحتهم، دفاعاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن المسلمين الذين اتبعوا دعوته، حتى تحقق استقرار الأمور في الجزيرة العربية⁽³⁰⁾، من بين الشعراء الذين واجهوا أزمة الاغتراب في هذا العصر، (جعفر بن أبي طالب) يكشف شعوره في الحرب وهو مقبلاً عن الآخرة هروب من سجن الاغتراب في الدنيا يقول :

يَا حَبْدًا الْجَنَّةَ وَاقْتَرَابَهَا طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابَهَا

وَالرُّومَ رُومَ قَدْ دَنَا عَذَابَهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابَهَا

عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابَهَا⁽³¹⁾

يضىء الشاعر أنه اتقلته الدنيا بما فيها من مصاعب والضغوط التي يواجهها المسلمون من كفار قريش فقد أقدم على الحرب بكل شجاعة متمنيا الشهادة ، وفرار إلى الآخرة ليكون

28- فقه السيرة ،محمد الغزالي ،خرج الأحاديث محدّث الديار الشامية العلامة محمد ناصر آين الألباني، دار الشروق،ص98.
29-الجامع الصحيح ،مسلم بن الحجاج ،دار الجبل ،بيروت ،لبنان ،دط، ،دت، كتاب الإمام، باب بيان الغين ولا م ،بدأ غريباً وسيعود غريباً،ص130.
30- ينظر ، شعراء العرب عصر الإسلام ،يوسف عطا الطريفي، الأهلية للنشر والتوزيع ،المملكة الأردنية، عمان،ط2009م،ص14.
31 - الإمام جعفر بن أبي طالب وآله - رضي الله عنه - نايف منير فارس ، مراجعة وتنقيح مركز البحوث والدراسات بالمبرة ، ط 1 1432 هـ . 2011 / ، ص 93 .

في مكان ليتخلص منه شعوره بالاغتراب فيه ، ألا وهي الجنة حيث النعيم والراحة والاطمئنان وعندما توفي الرسول محمد - عليه السلام - ، غمر الحزن القلوب ، وشعر المسلمون بفقد عظيم، واغتراب عميق لفراقه، حيث لن يتمكنوا من رؤيته أو العيش معه مرة أخرى، هذا الحدث الجليل فجر مشاعر الحزن والأسى، حيث عبر الناس عن ألمهم بمراثٍ صادقة تناسب عظمة المصاب، فقد قال الرجال قصائدهم المؤثرة، ونسجت النساء أشعارهن المفعمة بالألم؛ لتوثيق هذا الحدث الكبير بما يليق بجلاله⁽³²⁾، وهذا ما جاء واضحاً لدى الشاعر (حسان بن ثابت)، الذي قدم صورة مؤثرة لأشد وأقسى أشكال الاغتراب، وقد عبر الشاعر عن واقعه، وواقع أصحابه، حيث تسيطر مشاعر الحزن، والضياح، والتشتت على النفوس، فيقول:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا

كُحِلَّتْ مَا قِيَهَا⁽³³⁾ بِكَ لِ الْأَرَمَدِ

جَزَعَا عَلَى الْمَهْدِي أَصْبَحَ ثَاوِيًا

يَا خَيْرَ مَنْ وَطِيءَ الْحَصَى لَا تَبْعُدْ

وَجْهِي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لِيَتِّي

عُيْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيْعِ الْغَرْقَدِ⁽³⁴⁾

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات المؤثرة التي تمتلئ بالحزن العميق، والأسى الشديد عن حزنه لفقدان الرسول -صلى الله عليه وسلم -، موضحاً أنه لم يذق طعم النوم بسبب هذا المصاب الجلل، فقد أصبحت عيناه متورمتين ، وحمرتين نتيجة كثرة البكاء وقلة الراحة، كما أعرب عن أمنيته بالموت والدفن في بقيع الغرقد قبل رحيل النبي - عليه السلام - ، ومع ذلك، ورغم هذا الحزن العميق، يشيد الشاعر بانطلاق المسلمين لنشر الدين الإسلامي في أرجاء العالم، حيث توسعت الأراضي تحت راية الإسلام، مستضيئين بنور القرآن الكريم ومهتدين

³²-شعراء العرب عصر صدر الإسلام، ص13.

³³-ما قِيَهَا: مجازى الدمع من العين.

³⁴-ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرحه عبداً، مهنا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1994، 2م ، ص65.

بسنة الرسول الكريم، الذي وإن غاب بجسده فقد بقي أثره حياً بين الأمة، متمثلاً في التزامها بدينها وتعاليمه،⁽³⁵⁾ وجد المسلمون تفاوتاً كبيراً بينهم وبين الأراضي التي فتحوها، سواء من حيث الطبيعة أو أساليب العيش والجوانب الأخرى للحياة، فقد استقر الجنود في تلك المناطق البعيدة، متجمعين في معسكراتهم، ليجدوا أنفسهم في بيئات تختلف جذرياً في جوها وظروفها ومظاهر حياتها عما اعتادوه في جزييرتهم، وفي البداية، لم يتمكن العرب من التأقلم بسهولة مع تلك الحياة الجديدة، إذ كانوا يعيشون بأجسادهم هناك بينما ظلت أرواحهم، ومشاعرهم مرتبطة بأوطانهم وأهاليهم الذين اضطروا للابتعاد عنهم، وقد عبّر الشعراء الذين شاركوا في الفتوحات عن هذه الأحاسيس بوضوح في أشعار غنية بالمشاعر والصدق، مما جعلها من أبرز، وأعمق نماذج الشعر ذات التأثير القوي في النفس،⁽³⁶⁾ من هنا يمكننا استنتاج أن الفتوحات الإسلامية لعبت دوراً محورياً في شعور الشعراء بالاعتراب، ومع انتشار الإسلام، واتساع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية، تغيرت دوافع الاعتراب بعد ظهور الإسلام، حيث تراجعت القيم القبلية لتحل محلها القيم الإسلامية، كما أن خروج الجيوش الإسلامية إلى مناطق مختلفة لنشر الرسالة السماوية أدى إلى بُعد المحاربين عن أوطانهم، مما ولد لديهم إحساساً بالغربة، لم يجد هؤلاء سوى الشعر كوسيلة للتعبير عن عواطفهم وأشواقهم، في محاولة لتخفيف وطأة الغربة وألمها، تجلى هذا الشعور بوضوح في أشعار (مالك بن الريبب التميمي)، الذي عانى من الشوق والحنين لوطنه عندما انطلق إلى خراسان مع جيش الخليفة (عثمان بن عفان) رضي الله عنه، وتفاقم هذا الشعور حينما أدرك اقتراب أجله⁽³⁷⁾، دخل في حالة اغتراب وجودي أمام المستقبل، يخالطه الخوف من المجهول ومواجهة ذلك المصير الحتمي والعنيف الذي لا يمكن تجنبه أو التصدي له الموت، ورغم أن للعقيدة الإسلامية دوراً كبيراً في التخفيف من وطأته المأساوية، فإن النفس المؤمنة تبقى تحمل شيئاً من الرهبة تجاهه،⁽³⁸⁾ ويسيطر الاغتراب والتشاؤم على الشاعر، أصبح يترقب الموت في أي لحظة، يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً

³⁵- ينظر: شعراء العرب عصر صدر الإسلام، ص14.

³⁶- ينظر: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، مرجع سابق، ص81، 82.

³⁷- ينظر: العقد الفريد، لابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد 404هـ، دار الكتب العمالية، بيروت، لبنان، ط1، ج3، ص203.

³⁸- ينظر: قراءة الأدب الإسلامي والأموي، عبد العزيز المرافي، غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط6، 2007م، ص125.

وادي الغضى أُرْجِي القلاصَ النواجيا

ليت الغضى لم يقطع الركبَ عرضَه

وليت الغضى ماشى الرّكاب لياليا

ولمّا تراءتْ عند مَرّو منيتي

وخلّ بها جسمي، وحانتْ وفاتيا

فيا صاحبِي رحلي دنا الموتُ فانزلا

برابيةٍ إِنِّي مقيمٌ لياليا

وخطًا بأطراف الأسنّة مضجعي

ورُداً على عينيّ فَضَّلَ رداييا

خذاني فجّراني بثوبي إليكما

فقد كنتُ قبل اليوم صَعْباً قياديا

غداةً غُدِّ يا لهفَ نفسي على غُدِّ

إذا أدلجُوا عَنِّي وأصبحتُ ثاوييا

فيا صاحباً إما عرضتَ فبلِغاً

بني مازن والرّيب أن لا تلاقيا

غريبٌ بعيدُ الدارِ ثاوٍ بقفزةٍ

يَدَ الدهرِ معروفاً بأنْ لا تدانيا

اقلبُ طرفي حول رحلي فلا أرى

به من عيون المُؤنساتِ مُراعيا (39)

39- ديوان: مالك بن الرّيب حياة وشعره، تح/نوري حموري القيس، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج15، ج1 ص88-95.

استهل الشاعر قصيدته بالتعبير عن أمنيته العميقة، إذ يتمنى العودة إلى وطنه وقضاء ليلة واحدة بين أهله وأحبائه، فهو لا يجد السكينة والأمان إلا في كنف عائلته وبين أحبته، البعد عنهم جعله يعيش حالة من الحزن والكآبة، ومع هذا الاغتراب يتفانم شعوره بالألم حتى يبلغ ذروته كلما أيقن بعدم قدرته على العودة إليهم، بل إن إحساسه بقرب أجله زاد من مرارة غربته، حيث يتخيل أن خبر وفاته هو ما سيصل إليهم بدلاً من عودته، هكذا تسربت مشاعره المفعمة باللوعة والأسى في أبياته معبرة عن شدة الألم الذي يعتصر قلبه نتيجة الفراق والبعد عن الأهل والوطن⁽⁴⁰⁾ فقد كانت الكارثة جسيمة، حيث اجتمعت عليه أفضع مصائب الحياة، كالغربة والفقدان.

ج - الاغتراب في العصر الأموي :

لم يختلف العصر الأموي كثيرًا عن العصرين الجاهلي والإسلامي، لكنه شهد تطورًا ورفقًا أكبر؛ نظرًا لتطور الحياة في هذا الوقت وظهور الدولة ذات الطابع الإسلامي وسلطة الخلافة الوراثية، لكن عوامل الحنين والغربة ظلت موجودة بشكل كبير كما كانت في العصر الجاهلي، مع زيادة أسباب الغربة، كالهجرة من الأوطان، والسعي خلف الرزق والفرار من ظلم الحكام وصرامتهم، والزواج من خارج الأقارب، إلى جانب الحروب التي زادت بسبب الفتوحات أو النزاعات الداخلية حول الخلافة ونشوء الأحزاب⁽⁴¹⁾، وبسبب هذه الظروف، تغيرت الأوضاع خلال فترة حكم الأمويين، حيث انتشر التحضر وازدهر العمران، فقد نشأ في المناطق التي شهدت الفتوحات الإسلامية، مثل الشام، ومصر، والعراق، وبلاد الري وخراسان وغيرهما، جيل جديد من العرب الذي لم يشعر بالغربة، بل أعدت تلك البلدان بلاده، وتفاعل هذا الجيل مع الحضارة المحلية، ونجح في التكيف مع نمط الحياة السائد⁽⁴²⁾؛ إذ تحسنت ظروف حياتهم بشكل ملحوظ في مجالات المعيشة والراحة، وتمكنوا من التخلص من بعض العادات السلبية القديمة التي كانت منتشرة، لقد تغيرت أوضاع العرب هناك، سواء كانوا جنودًا، أو حكامًا، أو عائلات واتباعًا، إذ انتقلوا من نمط الحياة البدوية البسيطة إلى حياة غنية

⁴⁰-ينظر: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، مرجع سابق، ص74.
⁴¹- ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، مرجع سابق، ص53.
⁴²- ينظر: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، مرجع سابق، ص84.

بالرفاهية، حيث بدأت القيم البدوية تتراجع تدريجيًا لتحل محلها القيم المدنية، لكن في المقابل، ظلت القبائل البدوية محتفظة بأسلوب حياتها التقليدي، مما جعل أفرادها يشعرون بالقلق والانزعاج إذا اضطروا للابتعاد عن بيئتهم، رغم الجولات والتنقلات التي قاموا بها وما حققوه من تكريم ومكانة عالية، إلا أنهم لا يزالون يتوقون لتلك الحياة البدوية، ويرون في الغربة شعورًا بالمعاناة والذلة،⁽⁴³⁾، ومن الشعراء الذين عاشوا محنة الاغتراب في العصر الأموي (عبيد الله بن قيس الرقيات) لاغترابه عن وطنه وأهله وشعوره بالوعة والوجع في مكان لا يعرف فيه أحد، فلم يجد إلا البكاء ليخفف عن نفسه اللآلم والغربة يقول :

وَإِغْتِرَابِي عَنْ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ

بِبِلَادٍ كَثِيرَةٍ الْأَقْتَالِ

كُلَّ يَوْمٍ أَلْقَى ابْنَ شَائِنَةَ لَيْدٍ

سَ عَنِ الشَّرْمَا اسْتَطَاعَ بِأَلِي

حَوْلَهُ قَوْمُهُ وَقَوْمِي بِأَرْضِ

حَرَمٍ دُونَهُمْ حَنِينُ الشَّمَالِ

وَمُلُوكُ فَارَقَتْهُمْ أَفْرَادُونِي

وَصُرُوفُ الْأَيَّامِ بِي وَاللَّيَالِي⁽⁴⁴⁾

عانى الشاعر من أقسى درجات الانفصال، فهو يعيش بعيدا عن بلده واقاربه في مكان لا يريده أحد، حيث يشعر بأنه غريب عنهم، لذا، أحس بأن كل ما يحيط به كان كئيبا، ولم يجد وسيلة للتخفيف من الحزن الذي يثقل قلبه والهم الذي يعاني منه سوى البكاء، نتيجة للانفصال الذي يشعر به، وعندما تشتد وطأة مشاعر الغربة على الإنسان، ويشعر بالإحباط الذي يثقل روحه، فإن الذات تتأثر بشكل عميق بالشعور بالغربة، لكن هذه ليست الغربة الجسدية المعتادة بل هي نوع آخر من الغربة، أكثر تأثيرا وضررا بحاملها، تلك الغربة

⁴³- ينظر: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، مرجع سابق، ص85.

⁴⁴- ديوان، عبد الله بن قيس الرقيات، تح/ وشرح د،م حمد يوسف نجم، الجامعة الأمريكية، بيروت، دار صادر بيروت، ص113.

النفسية، والروحية، والعاطفية، إنها الغربة الناتجة عن الابتعاد العاطفي، والوجداني والابتعاد المكاني، وهذا بالضبط ما كانت الذات يحاول أن تعبر عنه للشخص المحبوب⁽⁴⁵⁾، كقول الشاعر (قيس بن الملوح) حين انفصل عن معشوقته (ليلى العامرية) حيث يقول:

فُوَادِي بَيْنَ أَضْلَاعِي غَرِيبُ

يُنَادِي مَنْ يُحِبُّ فَلَا يُجِيبُ

أَحَاطَ بِهِ الْبَلَاءُ فَكُلَّ يَوْمٍ

تُقَارِعُهُ الصَّبَابَةُ وَالنَّحِيبُ

لَقَدْ جَلَبَ الْبَلَاءُ عَلَيَّ قَلْبِي

فَقَلْبِي مُذْ عَلِمْتُ لَهُ جَلُوبُ

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ كَمِثْلِ قَلْبِي

فَلَا كَانَتْ إِذَا تِلْكَ الْقُلُوبُ (46)

يعبر الشاعر عن شعوره بالانفصال بسبب ابتعاد محبوبته عنه، مما جعله يعيش في حالة من القلق والاضطراب النفسي، يرى أن الكوارث تتكرر عليه يومياً وفي كل حين، وهذا ما جعله يشعر بأن قلبه في صراع مستمر مع الألم والعذاب، ورغم صعوبة الحياة في تلك الفترة الأموية وتأثرها بالطابع الإسلامي إلا أن مشاعر الحنين والرغبة في القرب كانت تشبه كثيراً ما كانت عليه في العصر الجاهلي، مثل الترحال من المنازل بحثاً عن لقمة العيش، أو النفي الذي يفرضه الحكام، أو احتجاج المعارضين في السجون من قبل الأقوياء، وهذه الظواهر لا تزال قائمة، وهذا ما واجهه الشاعر (هدبة بن الخشرم العذري)، الذي يعبر عن قسوة غربته وهو مسجون، ينتظر مصيره المحتمل بالخوف من الحكم عليه بالإعدام وفقدانه الأمل في العودة إلى أسرته وأحبته،⁽⁴⁷⁾ يقول:

45- جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي، فاضل أحمد القعود، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م، ص253.
46- ديوان، قيس بن الملوح، رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق، بسرى عبد الغني دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص78.
47- ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، ص77.

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ
يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرْجٌ قَرِيبٌ
فَيَأْمَنَ خَائِفٌ وَيُفَكِّ عَانٍ
وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الْعَرِيبُ
أَلَا لَيْتَ الرِّيحَ مُسَخَّرَاتٍ
بِحَاجَتِنَا تُبَاكِرُ أَوْ تَوُوبُ
فَتُخْبِرُنَا الشَّمَالَ إِذَا أَتَتْنَا
وَتُخْبِرُ أَهْلَنَا عَنَّا الْجَنُوبُ
عَلَى أَنَّ الْمَنِيَّةَ قَدْ تَوَافَى
لِوَقْتِ وَالنَّوَابِ قَدْ تَنُوبُ (48)

يتمنى الشاعر في هذه الأبيات أن يتحقق له الفرغ القريب من الكرب الذي وقع عليه، وهو محبوس في السجن، إنه يعاني ويشعر بالانفصال في هذا المكان الكئيب المنعزل، متقلِّبًا في فراشه؛ لأن النوم قد هجره بسبب الآلام والندم، يتمنى أن تخبره الرياح عن أخبار عائلته كما يتمنى أن يعرف أخبارهم، ثم يحاول أن يخفف عن نفسه ألم الغربة من خلال ارتكاب جريمة تستوجب العقاب، وهي الموت.

4- الاغتراب في العصر العباسي :

اختلفت ظروف الحياة في العصر العباسي عما كانت عليه في الفترات السابقة، حيث تمكنت الثورة العباسية من القضاء على الدولة الأموية التي كانت تسبب استياء و غضب الناس، بسبب ما ألحقته بهم من ظلم، وما حرمتهم منه من العدالة الاجتماعية، وما أظهرته من استهجان للحقوق والواجبات (49)، لاقتضاء شعر الحنين، والشوق إلى الأوطان ، وعدم

⁴⁸- شعر هدية بن الخشرم العذري، يحيى الجبوري، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، (1406هـ - 1986م)، ص30-34.
⁴⁹- ينظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، ط8، ص14، 15.

الاستقرار واختلاط الشعوب وأصبحت بغداد عاصمة الدولة العباسية، ومركز المعرفة والثقافات، وقد أصبحت الحياة حضارية بعيدة عن الحياة البدوية التي تثير الشوق والحنين، ومع ذلك كانت توجد بعض الأصوات التي تشعر بالحنين عند الانتقال أو الفراق والابتعاد طلباً للعيش أو فراراً من ظلم الحكام والسلاطين⁽⁵⁰⁾، وأسهمت طبيعة النمو والازدهار الحضاري في تشكيل مفهوم جديد للوطن، حيث لم يعد يقتصر على القرية أو المدينة أو الموقع الذي يقيم فيه الإنسان، هذا النوع من المفهوم تجلى بشكل واضح في الشعر، حيث إن العديد من الشعراء خلال هذه الفترة شعروا بالغربة، سواء كان ذلك بسبب البعد عن أوطانهم أو عائلاتهم وأحبائهم أو نتيجة لصعوبة التأقلم مع تقاليد مجتمعاتهم، وهذا ما يؤكد الشاعر (أبو نواس) حيث يقول:

ذَكَرَ الْكَرْخَ نَارِخَ الْأَوْطَانِ

فَصَبَا صَبَوَةً وَوَلَاتَ أَوَانَ

لَيْسَ لِي مُسَعِدٌ بِمِصْرَ عَلَى الشَّو

قِ إِلَى أَوْجِهِ هُنَاكَ حِسَانِ (51)

يبرز الشاعر شوقه وحنينه إلى الكرخ⁽⁵²⁾، وهو المكان الذي وُلد ونشأ فيه ولكنه تركه من أجل وطنه، وعندما ذهب إلى مصر شعر بالغربة والوحشة وبالأخص عندما يستعيد ذكرياته في بلده مما يجعل الدموع تنهمر منه، ولم يجد من يخفف عنه سوى علاقاته مع الجوارى، حيث يشغل تفكيره بهن حتى لا يتأزم إحساسه بالغربة، مع تطور الحياة في العصر العباسي، طرأت تغييرات على العادات والتقاليد، فظهرت فوارق واضحة بين الطبقة المرفهة وبقية المجتمع وبرزت أعراف جديدة لم تكن موجودة من قبل، مما جعل بعض الأشخاص غير

قادرين على التكيف والتأقلم معها، وتصوير بعض الشعراء للاغتراب الذي عانوا منه بأسلوب بشع ومؤلم، ومن بين هؤلاء الشعراء كان (الشريف الرضي) الذي لم يأخذ شيئاً من

50- الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان مرجع سابق، ص103.

51-ديوان: أبي نواس، تح/ بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتاب الوطنية هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ص359.

52- حي سكني في محافظة بغداد، العراق.

مجتمعه، ذلك المجتمع الذي كادت تختفي فيه القيم العربية الأصيلة، لذا لم يستفد منه سوى من الموارد النقدية التي عكسها في شعره بصورة غير مباشرة؛ لأنه عاش في بيئة فقدت الأعراف التقليدية التي اعتاد عليها ، وحلت محلها عادات جديدة وغريبة لم يتكيف معها، يقول:

لَا تُتَكْرَنَنَّ مِنَ الزَّمَانِ غَرِيبَةً

إِنَّ الْخُطُوبَ قَلِيبُهَا لَا يَنْزُحُ

لِلذَّلِّ بَيْنَ الْأَقْرَبِينَ مَضَاضَةً

وَالذُّلُّ مَا بَيْنَ الْأَبَاعِدِ أَرْوَحُ

وَإِذَا رَمَتْكَ مِنَ الرِّجَالِ قَوَارِصٌ

فَسِهَامُ ذِي الْقُرْبَى الْقَرِيبَةِ أَجْرَحُ (53)

يظهر الشاعر عدم قبول، ورفضه للعادات، والتقاليد التي طغت على المجتمع والتي بات معظم الناس يجعلون شعوره بعدم الرضا، ولم يكن مجرد استياء من انسجامه مع المجتمع حيث أدرك أن أسرته، وأصدقائه قد انخرطوا في هذه التقاليد الغريبة ، مما زاد من شعور اغترابه، وعزلته ، "يرتفع مستوى الغربة الاجتماعية في نفس (الشريف الرضي) إلى حالة اغترابية أكثر مأساوية، من تلك لفها به خذلان أكثر الناس، وهي خذلان الأصدقاء، وهي حالة الثانية من الاغتراب الخانق الذي يسد أبواب التضامن الأخوي والروحي بوجهة(54)".

أما أبرز من شعراء الاغتراب في العصر العباسي فهو (أبو العلاء المعري) حيث إن فقدانه للبصر هو السبب الرئيس في شعوره بالاغتراب، فقد كانت حياة (المعري) مليئة بالمكابدات والآلام والمعاناة منذ طفولته، في عمر الثلاث سنوات وبعد أن فقد بصره في الرابعة، لم يتمكن من رؤية سوى اللون الأحمر، وهو آخر الألوان التي رآها، وكلما تقدم به العمر، وتعمق في فهم أساليب الناس العامة والخاصة، زادت ثورته، وتنامي

53- ديوان ،الشريف الرضي، جمعه إحسان عباس،مج1، دار صادر، بيروت، دط، 1958م، ص258.

54- الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د ط، 1958م، ص81.

شعوره بالانفصال عن تلك الأساليب التي كانت تريح الناس، ويعتمدون عليها في خداعهم، وكذبهم ، وزيفهم ونفاقهم (55)، وفقدانه للنظر وهو في سن صغيرة، جعله يشعر بوجود أزمة داخل ذاته ، ومع مرور الزمن، زادت مشاعر اغترابه نتيجة اكتشافه خداع الآخرين، واعتمادهم على الحياة، يقول:

إِذَا مَرَّ أَعْمَى فَارْحَمُوهُ وَأَيِّقِنُوا

وَإِنْ لَمْ تُكْفُوا أَنَّ كُلكُمْ أَعْمَى

وَمَا زَالَ نِعَمَ الرَّأْيِ لِي أَنْ مَنَزَلِي

كَأَنِّي فِيهِ مُضْمِرٌ كَنَّ فِي نِعْمَا

عَدَوْتُ ابْنَ وَقْتِي مَا تَقَضَى نَسِيئُهُ

وَمَا هُوَ آتٍ لِأَحْسُنُ لَهُ طَعْمَا (56)

أظهر الشاعر عمق شعوره بالغربة النفسية، والاجتماعية نتيجة فقدانه للبصر، وهذه الهبة التي يغفلها الأشخاص في مجتمعه الذين يتشبثون بالماديات ، وملاداتها، وهذا ما دفعه إلى الابتعاد عنهم، والشعور بالغربة بينهم، حيث إن العميان الحقيقيين هم وليس هو، فـ(المعري) عاش ألم الغربة من جانبيين؛ الأول متعلق بفقدان البصر الذي أبعدته عن محيطه، والثاني مرتبط برغبته في الاستمرار في رحلة الاغتراب واستكشاف الذات، وفلسفة الحياة في ظل مواقفه الراضية لقيم المجتمع وعاداته(57) فقد عاش الشاعر فترة من الاغتراب منذ إصابته بالمرض وحتى وفاته، حيث شعر أن الحياة بأسرها قد أصبحت ثقيلة عليه، وتحول لشخص غريب في هذا العالم، وهذا ما جعله يدرك أن الموت هو سبيله الوحيد للخلاص من هذه الحياة المتعبة.

5- الاغتراب في العصر الحديث :

⁵⁵-ينظر: الاغتراب في حياة المعري وأدبه، حسن جمعة، مجلة جامعة دمشق، مج27، ع/2، 1، دمشق، 2011م، 27، 28.
⁵⁶- ديوان، اللزوميات أو لزوم ما لايلزم، أبي العلاء المعري، وقف على طبعه وعلق على شرحه يوضح مبهمه ويعرب معجمه عزيز بك زند، ج/2، طبعة بمطبعة المحروسة بمصر، 1895م، ص280.
⁵⁷- القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، عبد الله التطاوي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، د ط، دت، ص350.

يمثل التغيير الذي حدث في المجتمعات عاملاً مهماً في شعور الاغتراب، حيث انتقلت الحياة من الأرياف والبادية، بما تحمله من جمال طبيعي، وامتدادات واسعة من الصحراء، أو المروج الخضراء والسكنية إلى الحياة الحضرية في المدن، المليئة بالضجيج والزحام، مع العديد من المباني الشاهقة التي تكاد تخفي المنظر السماوي عن العيون، مما صعّب الحياة وأشغل الناس بتلبية احتياجاتهم الشخصية، نتيجة لتعدد أساليب العيش وصعوبتها، هذا الأمر أدى بعيداً بالفرد عن مجتمعه، مما جعله يتوق إلى الماضي، وإلى الحياة البسيطة التي عاشها، لقد اتخذ شعراء الرواد مواقف متنوعة من المدينة تراوحت بين الرفض والقبول والتعاطف، كل بحسب الظروف التي نشأ فيها، وأشكال الاغتراب التي عانى منها، ولذلك نرى أن للشاعر أحيانا أكثر من موقف تمليه عليه نظرته إلى المجتمع فالموقف من المدينة يكاد أن يكون صدى الموقف من المجتمع (58) أي أن الشعور بالاغتراب قد زاد، وانتشر بسبب صعوبة الحياة من ناحية وتفكك المجتمعات من ناحية أخرى، كما أن الشعراء لديهم قدرة فريدة على استشعار الرقة، والल्पف وتفاصيل المشاعر، مما يمكنهم من تحويل الأفكار الغامضة إلى تجارب واضحة، وقابلة للفهم لذا، فإن الشاعر بطبيعة حاله يعيش حالة اغتراب مركبة ويظهر ذلك في العديد من قصائدهم، مثل الشوق للطبيعة الغربية عند (جبران)، أو الحنين إلى المجهول، والرغبة الشديدة في التحرر من قيود المجتمع، كما يتجلى في أعمال (السياب)، أو تقديس الحب كما يظهر في أشعار (بشار الخوري)، و(ميخائيل نعيمة) بعد أن فقدت العلاقات الإنسانية الكثير من سماتها،⁽⁵⁹⁾، ويظهر الشاعر (جبران خليل جبران) مشاعر الدهشة و الاغتراب، إثر مغادرته لبنان إلى لندن، حيث صُدم بالتقدم الحضاري الذي شهده من ناطحات سحاب، وهو ما لم يكن معتاداً عليه في وطنه، واجه صعوبة في التكيف مع الحياة هناك، ورغب في الفرار والعودة لوطنه الذي يتميز بجمال طبيعته الخلابة وخضرتة التي تمنح الروح السكنية و الطمأنينة يقول :

لَيْسَ فِي الْغَابَاتِ حُزْنٌ

58- ينظر الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص82.
59- ينظر: الغربية والحنين في الشعر العربي الحديث، ماهر حسن فهمي، معهد البحوث والدراسات، دب، دت، د ط، ص110.

لَا وَلَا فِيهَا الْهُمُومُ

فَإِذَا هَبَّ نَسِيمٌ

لَمْ تَجِءْ مَعَهُ السُّمُومُ

لَيْسَ حُزْنُ النَّفْسِ إِلَّا

ظِلٌّ وَهُمْ لَا يَدُومُ

وَعُيُومُ النَّفْسِ تَبْدُؤُ

مِنْ ثَنَائِهَا النُّجُومُ

أَعْطِنِي النَّايَ وَعَنَّ

فَالغَنَى يَمْحُو المِحْنَ

وَأَنِينُ النَّايِ يَبْقَى

بَعْدَ أَنْ يَفْنَى الزَّمَنُ (60)

يظهر الشاعر شعوره بالانفصال عندما يفاجأ بمدينة (نيويورك)، بما تحتويه من ناطحات
سحاب ، وهياكل حديثة من إنشاء الإنسان ، على عكس ما اعتاد عليه من جمال الطبيعة
البسيطة، والساحرة في لبنان، التي هي من خلق الله – سبحانه وتعالى- فرغم هذا التقدم
، إلا أنه يشتاق إلى حياته في لبنان، ويتمنى أن يستقر في أحضان الريف، حيث الهواء النقي،
و السكنينة التي تزرع في نفسه شعور بالهدوء، والراحة.

وأما الشاعر(عباس محمود العقاد) فقد تألم من شعور الغربة بعد مرض ألمّ به أفقده

بصره، ويقول:

شَكَا الشَّاعِرُ البَاكِ عَمَى قَدْ أَصَابَهُ

وَأَظْلَمَ مَا نَالَ العَمَى جَفْنُ شَاعِرٍ

يُنُوحُ بِعَيْنِي لَمْ يَدْعُ عِنْدَهَا البَلَى

سَوَى نَبْعِ حَزْنٍ نَاصِبِ المَاءِ غَائِرٍ (61)

60- المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، جبران خليل جبران، قدم لها وأشرف تنسيقها ميخائيل نعيمة، دار صادر، بيروت، ط1، 2002، ص203،
61- ديوان، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د ط، 2012م، ص252.

حرم الشاعر من الفرح، والسعادة بسبب العمى الذي ابتلي به، فهو يعبر عن معاناته في حياة العتمة، والغربة التي يعيشها، فهو يشعر بالحرمان من رؤية جمال الحياة وإشراقتها، مما يجعله ينطوي على نفسه، ويسترجع آلام فقدان،⁽⁶²⁾؛ فشعوره بالاغتراب جعله يواجه اضطرابات نفسية صعبة جداً، فكان كثير البكاء حتى جفت عيناه من الدموع، لعدم تأقلمه مع فقدان البصر، وبالنظر إلى الشعراء الليبيين، فإنّ العديد منهم عاشوا تجربة الاغتراب، أمثال الشعارين اللذين (خالد زغبية وحسن صالح)، اللذان سيأتي الحديث عنهما في الفصلين الثاني والثالث، وكذلك الشاعر (إبراهيم الأسطى عمر)، الذي تمتلكه الحيرة والغربة نتيجة للواقع الذي يعيش فيه من تشتت وضياع فيقول:

وَعَدَا الْجِسْمُ نَحِيلاً مِثْلَ عَوْدٍ

وَكَسَى الرَّأْسَ بِيَاضاً مَزْدَهراً

هكذا أحياء وفكرى في شروء

حائرا بين فضاء وقدره⁽⁶³⁾

شعور الشاعر بالاغتراب أثر عليه بشكل كبير، حيث أصبح جسده نحيلًا وضعيفًا وقد غزا الشيب شعره نتيجة شعوره بالتيه والضياع، مما أرهق عقله بالتفكير في وضعه في الحياة، هو في حالة من التشتت بين قبول الواقع المرير الذي يعيشه أو رفضه وهذا هو (محمد الشلطامي)، الذي يصف نفسه بالميت الذي تنهش جثته العقبان بسبب فقدانه الأمل، يقول:

ميت تنهشه العقيان ، يستجدي جنازة

ميت في قرية الأموات ، ماتوا من سنين

حاملو النعش ، وملتو الصلوات

⁶² ينظر: فن الشعر العربي الحديث تحليل وتذوق، إبراهيم عوض ، المنار للطباعة، ط، 1426، 2006م، ص74.
⁶³ ديوان البلبل والوكر، إبراهيم الأسطى عمر، تح/ جمعة عبد الباسط الدلال وعبد اللطيف شاهين، مطبعة الإسكندرية، مصر، ط1، 1967م، ص52.

والبلى والدود في القبر ، وحقار القبور(64)

شدة شعور الشاعر بالاغتراب جعلته يرى نفسه ميتاً في مدينة يُدرك أن جميع أهلها أموات فالحياة القاتمة التي يزرح تحتها دفعته إلى طلب الموت في كل لحظة كقضاء من هذا الواقع التعيس.

ثانياً - الاغتراب في الفكر الغربي:

لقد مر مفهوم الاغتراب عبر مراحل متعددة، وأضاف إليه المفكرون، والفلاسفة الغربيون في كل مرحلة أبعاداً جديدة، وقد صنّفه العلماء، والأدباء إلى أربعة أقسام هي:

1- الاغتراب في مرحلة ما قبل هيجل :

ترتبط جذور الاغتراب تاريخياً ببدايات الحياة، بدءاً بخلق آدم - عليه السلام- وانفصال حواء التي تكوّنت من أحد أضلاعه ، ثم هبوطهما إلى أسفل السافلين الأرض ، إن خلق (حواء) يعد الانفصال الأول في الوجود ، أما الانفصال الثاني فيتجلى في هبوط (آدم) من الجنة إلى الأرض، وهو أول اغتراب عن الله، إذ عصى (آدم) ربه فطرد من جنة عدن ليعمل في الأرض التي أخذت منها،(65) ، لذلك تناولت النصوص مفهومي للاغتراب في كلا العهدين، القديم والجديد، المعنى الأول يُشير إلى انقطاع الصلة بين الإنسان والله وظهور انفصال بينهما نتيجة الانغماس في المعاصي والخطايا، فالمعاصي والخطايا(66) ، من العوامل التي تدفع بالإنسان إلى دخول متاهة الاغتراب، هناك عامل ثانٍ يتمثل في ظاهرة الصنمية والاعتراب عن الذات؛ إذ شكلت فكرة الصنمية عنصراً محورياً في تاريخ مفهوم الاغتراب، فالصنم ليس سوى خلق من صنع الإنسان، وعند عبادة الإنسان له يتحقق انفصال الخالق عن ذاته وفقدانها؛ إذ يتحول المرء إلى معبود لشيء صنعه بيده، وينسب إلى ذلك الشيء صفات خاصة، وبذلك، بدلاً من أن يدرك ذاته كمبدع وخالق، يجد نفسه خاضعاً لواقع جامد من صنيعه، فيصبح غريباً عن حياته الإنسانية وعن إمكاناته الخلاقة (67) فالإنسان يحدق في ذاته بإعجاب تجاه صنعته

64-المجموعة الشعرية، أنشودة الحزن العميق، محمد الشلطامي، وزارة الثقافة والمجتمع لمدي، ليبيا، دار الكتاب الوطنية بنغازي، ط1، 2013، ص311.

65- ينظر: نظرية الاغتراب من المنظورين الغربي والعربي، ص 15، 16.

66- المرجع نفسه، ص16،

67- المصدر نفسه، ص21، 22.

وإبداعه لخلق يراه جميلاً، ومع ذلك يمتلكه الشعور بالإحباط والاستياء جراء خضوعه لتمائيل عاجزة من صنع يده لا فائدة منها، فيولد لديه شعور الاغتراب نتيجة فشله.

2- الاغتراب عند معاصري هيجل:

أ- فيخته:

يُستعمل مصطلح التخارج للدلالة على الخضوع والانقياد، ويقترن هذا المعنى ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الاغتراب لدى أنصار نظرية العقد الاجتماعي وعلى رأسهم (هيجل)، ويرى (بشاخت) أن أثر (فيشته) على (هيجل) كان واقعياً؛ إذ يؤدي استسلام الفرد للواقع الذي يعيش فيه من دون أن يحرك ساكناً وافتقاره لحق الرفض تجاه كل ما لا يتوافق معه نتيجة انقياده لرغبات المجتمع وحدها إلى نشوء حالة اغتراب⁽⁶⁸⁾، وعلى هذا السياق يوضح فيخته على ضرورة تغطية الفراغ بين العالم الظاهري والعالم الروحي، فيرى أن العالم الظاهري يعتبر نتاجاً للإبداع الروحي وبما أن الإنسان روح فهو ليس مجرد جزء من العالم الظاهري هذا، وإنما سر وجوده، ويفضل وعيه فإنه بإمكانه التفوق على هذا العالم⁽⁶⁹⁾.

أ- فريدريك شيللر:

على رغم من أن (شيللر) لم يستخدم مصطلح الاغتراب، إلا أنه تحدث عن الأشخاص الذين عاشوا تلك التجربة، ويعتقد أنه إذا تمكن الإنسان من السيطرة على نفسه، ومعرفة الظروف من حوله، واستطاع التكيف بينهما، فلن يكون هناك صراع بين الفرد، والعالم الذي يعيش فيه⁽⁷⁰⁾، يتضح من هذا التطور أن الإنسان في الحضارة الإغريقية لم يتعرض للتفكك والضياع الذي يعيشه الإنسان اليوم، ويعتقد أنه إذا استمر الإنسان المعاصر في نموه الروحي، فإنه سيتفوق على ما وصلت إليه الحضارة الإغريقية⁽⁷¹⁾، ويجب على الفرد أن يسعى بجد لتطوير ذاته، وأن يسعى دائماً نحو الأفضل، دون أن يتوقف عند نقطة معينة مما يؤدي به إلى الشعور بالعجز وخيبة الأمل، كما ينبغي أن يعمل على التكيف، والانسجام بينه وبين البيئة المحيطة

⁶⁸-ينظر: الاغتراب، ريتشارد شاخت، تر: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980م، ص71.

⁶⁹- ينظر: نظرية الاغتراب من المنظرين الغربي والعربي، ص22.

⁷⁰-ينظر: الاغتراب، ريتشارد شاخت، ص78.

⁷¹-المرجع نفسه، ص79.

به، ليتمكن من مواكبة عصره، والزمن الذي يعيش فيه، وليصل بمستواه إلى ارتفاع أفضل مما كان عليه في السابق.

ويؤكد (شيلير) على أهمية أن تكون العلاقة بين الإنسان والعالم الخارجي أساسية وليست مجرد حسية ، طالما أن الإنسان في حالته الطبيعية يتقبل العالم الحسي بشكل سلبي فقط ، ويدركه عن طريق الحواس ، فإنه سيبقى مرتبطاً به كلياً، لأنه ينتمي إلى هذا العالم، لن يكون له عالم آخر، وستظل شخصيته تتشابه مع هذا العالم حتى يبدأ في استكشاف هذا العالم داخل نفسه، ويقوم بتأمل جمالياته، عندها سيظهر العالم أمامه بشكل أوضح؛ إذ يتوقف عن مطابقة نفسه بالعالم (72).

ينبغي للفرد أن يتأمل في محيطه وفي بيئته بطريقة إيجابية بدلاً من النظرة السلبية من المهم أن يستخدم عقله وقلبه معاً، وليس فقط عقله، كل شيء له جوانب جيدة وأخرى سيئة، ولا يوجد شيء مثالي، فالكمال يعود فقط لله، بهذا الشكل، يمكنه أن يتوقف عن مقارنة نفسه بالعالم الخارجي ويبدأ في الشعور بالرضا عن نفسه.

3- الاغتراب عند هيجل:

يعد (هيجل) هو الشخص الذي استخدم مفهوم الاغتراب بأسلوب منظم، يوضح (هيجل) (73)، وراء للاغتراب سببين

رئيسيين وهما فقدان الحرية وفقدان المعرفة، وعند حديثه عن العلاقة بين الحرية ، والضرورة، تناول قضية فقدان المعرفة، وتأثيرها على الاغتراب (74) "وستنتج صنفين من الاغتراب هما :

الخشوع :

حالة اغتراب التبعية تتمثل في رفض النفس للإرشاد الداخلي، واستسلامها للإرشاد الخارجي، أو ما يُعرف بالعقل الموضوعي.

72- ينظر المرجع السابق، ص79.

73- ينظر: نظرية الاغتراب، السيد علي شتا، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1993، ص1.

74- ينظر: نظرية الاغتراب من المنظورين الغربي والعربي، ص24.

الانفصال:

أما في حالة اغتراب الانفصال، تكون النفس في موقف معاكس حيث ترفض العالم الخارجي وتستسلم للإرشاد الداخلي أو الذات⁽⁷⁵⁾.

ناقش (هيجل) مسألة فقدان الحرية، وعلاقتها بحالة الاغتراب، حيث ربط حرية الفرد بقدرته على استيعاب العقل الموضوعي، فغياب هذا الاستيعاب يؤدي إلى سلب الحرية، مما يتسبب بانفصال الذات عن العقل الموضوعي⁽⁷⁶⁾، والعلاقة بينهما تتسم بالتطابق، وتميل إلى الفورية والتلقائية، كما يشير إلى أنه لا يمكن التغلب على اغتراب الخضوع، واغتراب الانفصال إلا من خلال اغتراب ثالث، يتمثل في معاني التسليم والتخلي⁽⁷⁷⁾، ويقصد بذلك أن الوعي الفردي يستعيد تماسكه الذي فقده بسبب التفاعل مع البنية الاجتماعية، ومن خلال انسجامة مع متطلبات الكلية، وهذا الانسجام يؤدي بالضرورة إلى حالة اغتراب عن الذات، مما يتطلب التخلي عنها وتسليمها⁽⁷⁸⁾.

ويمكن القول: إن (هيجل) فهم العلاقة المتوازنة والمتماثلة بين النوعين من الاغتراب، وهي علاقة تصلح للتطبيق في الوقت نفسه .

4- الاغتراب بعد هيجل :

أ- الاغتراب عند فويرباخ

يرى (فويرباخ) أن الدين يشكل الدافع الأساس للاغتراب، حيث يتناول القضية من منظور سلبي ، حيث جعل الاغتراب هو حالة فقدان

مرادفا لفكرة التخارج، حيث يمثل الدين في الغربية، وبالنسبة له أصبح مصطلح نظره ابتعاد الإنسان عن جوهره الأصلي وحقيقته العميقة⁽⁷⁹⁾.

⁷⁵- المرجع نفسه، ص24.

⁷⁶- ينظر: نظرية الاغتراب مرجع سابق، ص 8، 7.

⁷⁷- هو معنى الاغتراب عند أصحاب نظرية العقد الاجتماعي.

⁷⁸- الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص36.

⁷⁹- الاغتراب عند إيريك فروم، حسن حماد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995م، ص38.

إن الوسيلة للخروج من هذا الاغتراب تكمن فقط في نقد الدين، حيث يُظهر أن "الإنسان خُلق وفقاً لصورته الجوهرية التي تعكس صورة الله"، ويصبح واضحاً أن طبيعة الإنسان الجوهرية تختلف عن طبيعته الفعلية، فتنعكس تلك الطبيعة الأولى في تصور فكرة الله، وبالتالي، يتبنى الإنسان تصوّراً لشيء يجب أن يُحترم، لكنه في الوقت نفسه يشعر باليأس من إمكانية امتلاك تلك الصفات، وبإقدامه على هذا التنازل، وينكر الإنسان طبيعته الجوهرية، (80) "

فر(ويرباخ) يعتقد أن الدين هو المصدر الأساس لأشكال الاغتراب جميعها، وبحسب رأيه، يتمثل دور الاغتراب في تحويل الذات إلى الآخر، سواء كان هذا التحول جزئياً أو كلياً (81).

ب - الاغتراب عند ماركس:

يرتكز مفهوم الاغتراب عند ماركس على فقدان الحرية، خصوصاً في المجتمعات التي تسودها الأنظمة الرأسمالية، يتميز تحليل ماركس لهذا المفهوم بكونه فريداً حيث أضاف بعداً مادياً لدراسة الاغتراب من خلال نقد وتحليل بنية المجتمع البرجوازي والرأسمالي (82).

يوضح(ماركس) أن الاغتراب هو الموضوع الرئيس الذي تناوله في كتابه (المخطوطات الاقتصادية والفلسفية 1844)، وقد أشار إلى وجود أربع صور للاغتراب: اغتراب ناتج عن العمل، واغتراب عن عملية العمل نفسها، واغتراب عن الآخرين، واغتراب عن الطبيعة الإنسانية، وفيما يتعلق بالاغتراب الناتج عن العمل يشرح (ماركس) أن العامل أي الموظف في النظام الرأسمالي يعمل تحت ضغط الحاجة لتأمين قوت يومه، ومع ذلك، فإن الفائدة الأساسية من هذا العمل تكون لصالح صاحب العمل أي (المدير)، حيث يُستولى على ناتج جهد العامل دون أن يكون له نصيب حقيقي فيه، وبهذا يصبح العامل منفصلاً عن ثمار عمله، حيث يسيطر عليها المدير دون أي مساهمة فعلية منه، ويرى (ماركس) أن هناك قوتين تُحوّلان ناتج العمل إلى شيء غريب عن منتجه؛ الأولى قوة إنسانية ناتجة عن التفاعل الاجتماعي

80- ينظر: الاغتراب ريتشاردشاحت، ص126، 127.

81- ينظر: الاغتراب الديني عن فويرباخ، حسن حنفي، مجلة عالم الفكر، مج10، العدد الأول، 1979م، ص43.

82- ينظر: موسوعة العلوم الاجتماعية، ميشيل مان، ترجمة عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م، ص48.

والاقتصادي، والثانية قوة غير إنسانية تكمن في القوانين التي تحكم العملية الاقتصادية مثل قانون العرض والطلب⁽⁸³⁾.

يتناول النص اغتراب الإنسان عن العمل بوصفه حالة من انعدام التوافق والراحة بين العامل والمهام التي يؤديها، حيث لا تتبع هذه المهام من اهتماماته، أو رغباته الشخصية، بل تفرض عليه لتحقيق متطلبات مادية تُلبي احتياجاته، ويتجلى هذا الاغتراب في العلاقة بين العامل وعمله التي تُقَيّد بتوجيهات صاحب العمل، الذي يتحكم في النشاط المهني وفقاً لما يلائم مصالحه، أما بالنسبة للاغتراب عن الآخرين فإنه يُعد نتيجة مترتبة على اغتراب العامل عن عمله وعن إنتاجه، فمن خلال النظام الرأسمالي، تسود روح الأنانية، والمصلحة الذاتية، حيث تُبنى العلاقات بين الفئات المسيطرة والعامّة على أساس تحقيق مكاسب شخصية، بالتالي، يظهر اغتراب الإنسان عن الآخرين كنتيجة لمنطق التنافس والأنانية الذي يهيمن على علاقات الأفراد داخل إطار المجتمع الرأسمالي⁽⁸⁴⁾.

أما الاغتراب عن النوع الإنساني، فيكشف(ماركس) أن حياة الإنسان قائمة على العمل ونتاجه، وهما العنصران اللذان يقودان إلى اغتراب الإنسان عن ذاته، ومن جهة أخرى، يعمل الإنسان على التأقلم مع الحياة التي يعيشها، بخلاف الحيوانات فالإنسان يتجاوز هذا التأقلم ليصل إلى مرحلة السيطرة على بيئته، لكن في الأنظمة الرأسمالية، يتم تقويض عنصر الهيمنة الواعية الذي أشرنا إليه، وبالتالي تتدنّى مكانة الإنسان العامل⁽⁸⁵⁾، وبهذا يصبح الإنسان مغترباً وفقاً لطبيعته البشرية، إلى مستوى أشبه بمستوى الحيوان.

ج- الاغتراب عند دور كايم :

اهتم (دوركايم) بمفهوم سلب المعرفة حيث عده أداة أساسية لفهم ظاهرة الاغتراب، فيرى (دوركايم) أن اغتراب الفرد ينشأ أساساً من فقدانه للارتباط بالعقل الجمعي، في المجتمعات البسيطة، تعتمد الأنظمة على خضوع مصالح الأفراد لمصالح الجماعة، حيث ينشأ الفكر الفردي منذ الطفولة، لينسجم مع أهداف المجتمع ككل، وعندما يصل الفرد إلى مرحلة النضج،

⁸³- ينظر: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص 40.

⁸⁴- ينظر: موسوعة العلوم الاجتماعية، ص48.

⁸⁵- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لا يشعر بالضيق من العمل لصالح الجماعة، بل على العكس، يجد في ذلك شعورًا بالراحة والانتماء والتكامل مع المجموعة،⁽⁸⁶⁾ ويرى أن العلاقات الاجتماعية تغيرت بشكل كبير في العصر الحديث، حيث أصبح الإنسان يعاني من التشاؤم والقلق، وقلة لسعادة، وذلك نتيجة لتزايد تقسيم العمل، يعتقد أن التضامن الاجتماعي يلعب دورًا مهمًا في حفاظ الإنسان على قيمته، لكنه يشير إلى أن اليأس، والوحدة اللذين شهدهما التاريخ الحديث، وكذلك ازدياد القلق، والاكئاب الشخصي، هي نتائج مباشرة للنزعة الفردية التي سادت في المجتمعات الحديثة، هذه الفردية المفرطة أدت إلى إضعاف الضمير الجمعي، مما جعل المجتمع عاجزًا عن تحقيق التوازن بين الفرد، ومحيطه الجمعي، وبما أن الفرد يعتمد بشكل أساسي على الضمير الجمعي، فإن سلوكه يؤثر على المجتمع بأسره وهذا التبعية المتبادلة أسفرت عن حالة من الاغتراب في المجتمعات الحديثة⁽⁸⁷⁾، وأصبح الفرد غارقًا في أعماق ذاته الداخلية، مبتعدًا عن الفكر الموضوعي الذي ينتمي إلى العالم الخارجي، توصل (دوركايم) إلى تصنيف التضامن الاجتماعي إلى نوعين رئيسيين: التضامن الاجتماعي الآلي والتضامن الاجتماعي العضوي، يرى أن النوع الأول يعتمد على الأخلاق والتجانس الاجتماعي، حيث يخضع الأفراد لما يمليه الرأي العام وتكون المسؤوليات فيه جماعية، أما النوع الثاني، فيرتكز على تقسيم العمل وتخصص الوظائف، ما يجعله قائمًا على الفروق الفردية بين الأشخاص⁽⁸⁸⁾ يرى الكاتب أن هذين النمطين غير متكافئين أو مكتملين وفقًا للمعايير المحددة، وهو ما يؤدي إلى وجود فجوة واضحة بين الفرد والمجتمع، وهذه الحالة يمكن ملاحظتها بشكل جلي في المجتمعات الحديثة، أما بالنسبة لطرح (فرويد) حول الاغتراب، فقد ركّز بشكل أساسي على فهم أسباب الهستيريا، وطرق علاجها، مع التركيز على مفهوم اللاوعي وما يمارسه من تأثير في تغييب الوعي، لقد ميّز (فرويد) بين الحالات العقلية الشعورية، وتلك اللاشعورية، حيث رأى أن أعراض الهستيريا تعود إلى عملية كبت للرغبات والمشاعر التي بفعل الضغوط المختلفة تتخذ أشكالاً أخرى غير مألوفة، تظهر كأسلوب تعبير عن تلك الرغبات الكامنة، ومن هذا المنطلق، قام (فرويد) بتقسيم النفس الإنسانية إلى ثلاثة أقسام رئيسية: (الهو)، الذي يمثل الشهوات والرغبات

86- ينظر: نظرية الاغتراب، ص 80.

87 المرجع نفسه، ص 81.

88- المرجع نفسه 84، 85.

الأساسية، (الأنا)، الذي يعبر عن العقل بمفهومه الإدراكي والواعي، و(الأنا الأعلى)، الذي يتعلق بالمجتمع المحيط، وما يحتويه من معتقدات وتقاليد، وعادات تربى الفرد في إطارها⁽⁸⁹⁾.

يشير (فرويد) من خلال هذا التصنيف إلى أهمية تحقيق توازن بين الغرائز والرغبات من جهة، ومتطلبات المجتمع من جهة أخرى، فكلما كانت علاقة الإنسان بالعالم الخارجي أكثر قوة وترباطاً، زاد خضوعه واستسلامه لهذا العالم، ونتيجة لذلك، يعمل الشخص على إشباع غرائزه، وشهواته، وتلبية أمنيته، مما يؤدي في النهاية إلى حالة من الاغتراب⁽⁹⁰⁾.

ويرى (فرويد) أن اغتراب الأنا ينشأ نتيجة فقدان الحرية في إشباع رغباته وغرائزه، وذلك بسبب خضوعه لسلطة (الأنا الأعلى) من جهة، وفقدانه إدراكه للواقع إذا ما سمح لإشباع تلك الغرائز من جهة أخرى، بناءً على ذلك، يعيش (الأنا) حالة مستمرة من الاغتراب سواء في علاقته مع (الهو)، أو مع (الأنا الأعلى) ويؤكد (فرويد) أن هذه الحالة من الاغتراب لدى الإنسان ترجع إلى تشتت وضياع الفرد حيث يجد العقل (الأنا) نفسه في صراع دائم بين خضوعه (للأنا الأعلى) وقمع رغباته من جهة، وبين فقدان المعرفة، والاتصال بالواقع من جهة أخرى.

⁸⁹- ينظر: نظرية الاغتراب من المنظورين الغربي والعربي، ص33.
⁹⁰- ينظر: نظرية الاغتراب، ص158.

الفصل الثاني

الاغتراب وأنواعه ، و نماذج من شعر خالد زغبية وحسن صالح:

المبحث الأول :

الاغتراب وأنواعه

المبحث الثاني

نماذج من شعر خالد زغبية وحسن صالح:

المبحث الأول - الاغتراب وأنواعه:

توطئة:

تعد الغربة (أو الاغتراب) ظاهرة محورية في الشعر العربي الحديث، تعكس إحساس الشاعر بالضيق، القلق، والتمزق النفسي نتيجة تحولات سياسية واجتماعية وحضارية تتنوع صورها بين الغربة في الكون، والمدينة، والكلمة، والحب والغربة الذاتية.

ويصنف الاغتراب من الظواهر القديمة جدا فقد ظهر مع المجتمعات الأولى واستمرت حتى الوقت الحاضر، فصارت من أصعب المشاكل التي تواجه الإنسان وتقف كعقبة في طريقه، وتمنعه من التأقلم مع بيئة، مما جعله يعيش حياة مستعصية معقدة أبعدهت تدرجيا عن العلاقات الإنسانية الحميمة، التي تشده مع الآخرين وجعلته ينظر إلى الحياة، وكأنها غريبة عنه، لذلك من الممكن أن تعد قضية الاغتراب من أهم القضايا التي تشكل محنه من محن الإنسان المعاصر، فتؤدي به إلى عدم الاستقرار والضيق والقلق.

حيث أصبح الاغتراب بشكل عام من المشكلات الاجتماعية التي ترمى ظللها على الناس، وتجعلهم غير قادرين على الانسجام الاجتماعي من ناحية، وعلى تحقيق أحلامهم ووظائفهم الاجتماعية من ناحية أخرى، الأمر الذي يعرقل من تحسين وارتقاء الإنسان داخل مجتمعه، بل يجعله منعزلاً غير قادراً على تحديد أهدافه، كما بات انعكاسه طردياً في حياة الشاعر العربي المعاصر مع تعسر الحياة، فالشاعر ابن المجتمع وهو أسرع من غيره من جهة التأثير بأوضاع البيئة التي يعيش فيها، إذ يتمتع بقدر مرتفع من الحساسية والتوتر، والرهافة، ولهذا فقد عاش في اغتراب مركب لأنه " إنسان جمعي يستطيع أن ينقل ويشكل اللاشعور أو الحياة الروحية للنوع البشري(91) ".

إن الاغتراب ليس مجرد تجربة، وإنما تجارب مختلفة فتجدها أحاطت بالإنسان في مختلف جوانبه النفسية والاجتماعية والسياسية وغيرها من جوانب، فلم تترك جانب إلا وقد سيطرت عليه، مع محاولات الإنسان تخطيها، وبأت محاولاته بالفشل فوجد نفسه في صراع معها،

91 - الاغتراب في الشعر العراقي، ص4.

أي لامجال للقرار منها "فكانت تقوه إلى التمرد والعصيان ومواجهة المجتمع، وحيناً إلى الاستسلام والانعزال والانكفاء على الذات"(92).

إن تقسيم أنواع الاغتراب يتم وفق الأسباب التي تؤدي إليها مع التطلع إلى أن الأنواع كلها تتعلق وتتشابك بما يتعذر الفل أحياناً بين الاجتماعي والسياسي والنفسي والعاطفي منها، لكن تعقيبات الفعل الظاهرة تدفع باتجاه بشكل يبدو أكثر وضوحاً(93)

ويتجلى في هذا المبحث ملامسة ظاهرة الاغتراب في الشعر الليبي المتمثل في شعر (خالد زغبية والشاعر حسن صالح)

أولاً - أنواع الاغتراب:

وفقاً لتباين الآراء بين العلماء ، والباحثين حول تحديد مفهوم موحد للاغتراب، فإن هذا المفهوم يمكن أن يتخذ أشكالاً مختلفة تعتمد على حالة الفرد المغترّب، وظروف حياته؛ نتيجة لهذا التباين، نشأت عدة أنواع من الاغتراب، منها :

1- الاغتراب الاجتماعي :

ويشير إلى شعور الفرد بعدم القدرة على التكيف، والانسجام مع الأشخاص الذين يعيشون معه في المجتمع نفسه، وقد يكون السبب الرئيس وراء هذا الشعور ، هو حالة من اللاوعي الداخلي التي تجعل الشخص يشعر بالغرابة عن محيطه، ونتيجة لذلك يجد نفسه غير قادر على التوافق والتفاعل مع طبيعة الحياة الاجتماعية في بيئته، وهذا الاختلاف بينه وبين الآخرين في مجتمعه يجعله يشعر بعدم الاكتمال، أو النقص في نموه الشخصي(94).

ومن الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الوقوع في شبكة الاغتراب الاجتماعي عندما يبذل أقصى جهده لتقديم منفعة لمجتمعه، لكنه لا يجد من يقدر عمله أو يشجعه ويثني عليه لما قدمه من جهود نافعة، هذا قد يؤدي به إلى حالة من الاغتراب تعكس صراعاً داخلياً عميقاً يمكن أن

92 - الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص15.

93 - ينظر: الحس الاغترابي في أعمال روائية، غسان كنفاني(بحث)مجلة جامعة دمشق للدراسات والعلوم الإنسانية ص296.

94- ينظر: أزمة الإنسان المعاصر، إسكندر، نبيل رمزي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988م، ص32.

يسيطر على الفرد، فيشعر بالظلم والإحباط ، وخيبة الأمل، مما يُؤلّد لديه مشاعر سلبية تجاه الأشخاص المحيطين به⁽⁹⁵⁾.

وقد يشعر الإنسان بالاغتراب عندما يجد نفسه مضطراً إلى تبني ثقافة، أو عادات اجتماعية لا يؤمن بها في داخله، مما يضعه في حالة من التناقض بين ذاته ، وواقعه وهذا التناقض قد يولد شعوراً بالعجز عن تغيير أو التأثير في محيطه، ولا يختلف الشعراء في هذا السياق عن غيرهم من البشر، إذ أنهم عانوا قديماً وحديثاً من مظاهر الاغتراب الاجتماعي؛ وذلك لأن الشاعر في جوهره إنسان، والإنسان بطبيعته كائن اجتماعي، ولكن عندما يصبح عاجزاً عن الانسجام، والاندماج في مجتمعه، وتتكون لديه معايير داخلية تُعمق شعوره بالاغتراب ، وتزيد إحساسه بالغرابة حتى داخل بيئته ومحيطه الاجتماعي⁽⁹⁶⁾.

قد تنشأ بعض مظاهر الاغتراب نتيجة تأثر القيم داخل المجتمع، ومن بينها الفقر ويظهر ذلك من خلال استنكار الذي يؤدي إلى ضعف الروابط الاجتماعية وتباعدها.

ويتضح من ذلك أن الفقر كان في صدارة القضايا التي أثقلت كاهل الشاعر وأدخلته في دوامة محنة الاغتراب، حيث شكل تهديداً واسع النطاق على فئات عديدة بسبب ظروف قاهرة خارجة عن الإرادة، بهذا تتجلى مأساة الاغتراب وتأخذ المواجهة مداها، ومع ازدياد تفاقم الفاقة، وافتقار المجتمع إلى منطقية التكافل الاجتماعي فأصبحت أزمة الفقر عبئاً ثقيلاً يقلق الشاعر، ويهيمن على أفكاره، لا سيما أمام واجباته الاجتماعية، لذلك، انعكس اغترابه الداخلي في معاناته مع شبح الجوع، حيث أدى عجز الذات عن تلبية احتياجاته الأساسية إلى تعميق شعور الانفصال والغرابة سواء عن الواقع ، أو عن ذاته⁽⁹⁷⁾.

لم يجد الشاعر وسيلة للتعبير عما يعتل في داخله من حزن، وهموم سوى اللجوء إلى الشعر، حيث أعده المتنفس الوحيد للتعبير عن معاناته الناتجة عن حياة الفقر والحرمان وتبعاتها الاجتماعية، لذلك استلهم الشعراء موضوعات قصائدهم من واقعهم الاجتماعي، كونهم يمثلون الصوت العاطفي الحساس لشعوبهم، فقد أدى التفاوت الطبقي إلى عزلة الأفراد عن مجتمعهم،

⁹⁵- ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري ، ص51.

⁹⁶-ينظر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عباس إحسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ط1، 1978م، ص55.

⁹⁷- ينظر: ، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري ، ص52.

وبينما يكافح الإنسان للتأقلم مع واقعه الاجتماعي، وفي ظل غياب الاحتياجات المادية الأساسية، ويزداد الإحساس بالاغتراب عمقاً (98).

2 - الاغتراب العاطفي:

وأما بالنسبة للاغتراب العاطفي، فإن طبيعة النفس البشرية تعتمد على وجود دافعين يتصارعان باستمرار للسيطرة على سلوك الإنسان، فالدافع الداخلي، المتمثل في الروح والقلب، حيث يجد طريقه في ذات العاشق من الإنسان خلال محفزات اجتماعية، اقتصادية، أو شخصية ويتحول تدريجياً إلى حالة من السمو، تتجاوز الشهوانية المرتبطة باحتياجات الجسد فقط، (99)، ومن هذا المنطلق، يقال إن الحب العذري يُعدّ ظاهرة إسلامية نشأت بدافع التقوى والخوف من الله تعالى (100)، وأما الدافع الخارجي فينبع من العلاقة بين الإنسان ومجتمعه، المحكوم بعادات، وتقاليد تعتمد على التعالي الطبقي، وتقييم الأفراد بناءً على ما يملكون من ممتلكات مادية متجاهلة تماماً لمشاعر العشاق، وآمالهم، يؤدي هذا السلوك إلى التمييز بين الأحبة وتحطيم حلم اللقاء بينهم، مما يزرع صراعاً داخلياً في قلب العاشق، يحاول العاشق التنفيس عن هذا الألم عبر تسليط الضوء داخلياً في قلب العاشق عن عيوب المجتمع وأفراده، وذلك في محاولة لإظهار تناقضاتهم، وتقويض براءة تلك العلاقات، مما يدفعها في النهاية نحو هاوية الضياع واليأس، (101)، ومن هذين الدافعين ينشأ الاغتراب داخل نفسية العاشق، وهو ما يُعرف بالاغتراب العاطفي، وهذا النوع من الاغتراب قد يدفع الإنسان للابتعاد عن الناس، وعن وطنه، وربما عن العالم بأكمله، وقد يتطور إلى حد الانفصال عن ذاته، وفقاً للتحليل النفسي، ويُعد الاغتراب العاطفي حالة من حالات التوتر النفسي التي قد تصل في بعض الأحيان إلى تلاشي الشخصية أو الإحساس بالاضطراب (102)، ويتشكل الاغتراب العاطفي نتيجة للحب الذي يقترن بالإخفاق، والحرقة، والحرمان، وألم القلب، ذلك الحب الذي كان العاشق ينظر إليه كوهج يضيء عتمة الظلام، ويتحول إلى مصدر ألم عندما يغيب،

98 - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

99 - ينظر: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، د. يوسف حسن بكار، دار المعارف، مصر، د.ط، 1971م، ص 24.

100 - ينظر: تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكوى فيصل، دمشق، د.ط، 1379هـ، 1959م، ص 284.

101 - ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، ص 97.

102 - ينظر: الاغتراب وعلاقته بمفهوم الذات، أمال محمد بشير، أطروحة دكتوراة، كلية التربية جامعة عين شمس، 1989م، ص 159.

فالغريب بالنسبة له هو من لا يمتلك حبيباً، ومن يبتعد عن الحب أو يفقده يعيش اغتراباً أشد عمقا، إذ إن فقدان الأحبة هو أقسى أشكال الغربة،⁽¹⁰³⁾ وهذا يحدث عندما يتحلى الحب بالحياة والحشمة، والوقار، وعندما يكون حباً عذرياً وصادقاً، أما إذا فقد الحب عفنه وإخلاصه، فتغشا البصيرة بنظرة من الظلام، ويغمر العاشق شعور باليأس والعجز مما قد يدفعه إلى الصمت، والانعزال عن الناس، وتختلف بعدها طرق التعبير عما يشعر به، فالعديد من المحبين يلجأون إلى الشعر للتعبير عن ألمهم، ومعاناتهم؛ إذ يجدون فيه متنفساً لتفريغ مشاعرهم، والإفصاح عن خواطرهم، كما يشكل وسيلة لتذكير أحببهم بأيام الوصال التي مضت، وحتى للإعلان عن معاناتهم، ومشاعر الهجر علناً، ومعبرين عن أحزان تخنقهم، وأعباء يصعب تجاوزها.

3- الاغتراب السياسي:

هو إحساس المرء بأنه ليس له دور فاعل في اتخاذ أي قرار يخص بلده الذي ينتمي إليه ويعيش فيه، وإنه لا يستطيع أن يشارك في أي إجراء سياسي حتى ولو كان الوضع الراهن الذي يعيش فيه لا يرضيه، بل يجب عليه التسليم والخضوع فقط وهذا ما يجعل الفرد يعيش حالة من العصيان نتيجة لسلب حقوقه السياسية؛ لأن التمرد السياسي عادة ما يحدث عندما يصبح الناس عاجزين أو غير راغبين في المشاركة السياسية في المجتمع أو التنظيمات السياسية، وذلك لضعف العلاقات الاجتماعية والعجز عن الانتماء⁽¹⁰⁴⁾.

"ومن هذا القبيل يُعدُّ العصيان، والتمرد من أبرز دوافع الاغتراب السياسي لدى الإنسان، الأمر الذي أدى به إلى مُعاناة من جملة من السمات نذكر الأهم منها : سلوك التراجع، وعدم الإدلاء بالصوت في الانتخابات، والإدراك للسلطة، والعجز السياسي، وغياب المغزى السياسي، والوحدة السياسية، والاضطراب، والثقة السياسية، والاطمئنان للآخرين، والضيق، والإحباط، وغياب المقياس السياسي والتبلد السياسي"⁽¹⁰⁵⁾.

من هذه العوامل يمكن القول : إن الاغتراب السياسي يشير إلى شعور الشخص بالاغتراب تجاه الوضع السياسي السائد في بلده، والسلوكيات الاجتماعية التي تجري في محيطه.

¹⁰³-ينظر: حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني ،دار الكتاب العربي،بيروت،ط2، 1980م، ج3، ص134.

¹⁰⁴-دراسات في سيكولوجية الاغتراب، عبد اللطيف محمد خليفة، دار غريب،القااهرة،ط1، 2004م، ص99.

¹⁰⁵-الشباب العربي في المهجر، كايد هشام، مراجعة: همام غصيب، منتدى الفكر العربي،عمان،الأردن،ط1، 2008م، ص22.

إن مجموعة السلوكيات الاجتماعية في مجتمع ما هي ممارسة عقائدية في جوهرها، فسلوك الفئات الاجتماعية مدفوع بمفاهيم، وأفكار، ومعتقدات متجسدة في الكيان الاجتماعي بشكل عام، ففيها تتأكد شرعية الأطروحات والمطالب، وهي في واقع الأمر محور كل نقاش سياسي وكل نزاع اجتماعي؛ و شعور المرء بالغربة ليس خارج بلده ؛ بل حتى وهو في بلده وبين أسرته؛ بسبب غياب المشاركة والتآزر في جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والقضائية كافة.

أي أن الشخص لا يكون غريباً عن محيطه وحياته لأسباب تتعلق بشؤون دولته لفترة محدودة فحسب، بل يعيش طوال فترة عمره مغترباً عن وطنه وهو مقيم فيه يعاني ويتكبد المصاعب، متغافلين عن رأيه ومتطلباته دون الاكتراث بقبوله أو رفضه لهم⁽¹⁰⁶⁾.

ولهذا فإن المرء يشعر بالعجز، والوهن لأنه غير قادر على ضبط مقاليد الأمور في محيطه، فتظهر المسافة والتصلب بينه وبين سلطته، وهذا يعني أن الانفصال السياسي هو إحساس الفرد بمدى قدرته على التأثير في مسار الشأن العام فالأشخاص الذين لا يتمتعون بامتيازات من الحكومات المسؤولة في مجالات التنقيف، والتشغيل والرزق والمناصب يكونون أكثر عرضة للانفصال السياسي، لذا يدفعهم نفورهم إلى ترك المشاركة في جوانب الحياة المتنوعة كالاقتراعات، والتجمعات، والملتقيات⁽¹⁰⁷⁾.

ومن هذا تدرك أن الأشخاص الذين يعانون من التغريب السياسي لا يحظون بمكاسب، ومكافآت، واعتناء من قبل حكامهم رغم مساعيهم المبذولة نحو وطنهم ولهذا يكونون عرضة للتغريب، مما جعلهم لا يشاركون في شؤون الدولة السياسية.

والشعراء لا يتباينون عن باقي أفراد مجتمعهم، فهم يعيشون التغريب السياسي، ولا يجدون سوى ألسنتهم وأقلامهم، ليعبروا عما في دواخلهم من ضيق وغضب وألم وعجز، جراء عدم اكتراث حكامهم برأيهم ومساعيهم المبذولة لخدمة بلدانهم، بل عملوا على قمعهم ومصادرة حريتهم؛ وذلك لرفضهم الاستبداد والتسلط، وكان للشعراء الليبيين نصيب في هذا التغريب، إذ

106- ينظر: نظام الخطاب، مشيل فوكو، تر: محمد سيلا ، دار التنوير، دط، 1970م، ص81، 82.
107- ينظر: الاغتراب- التمرد قلق المستقبل، إقبال محمد رشيد صالح الحمادي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010م، ص136.

يقول (علي فهمي خشيم): " لقد كانت قضية الوطن والحرية هي الشغل الشاغل للشعر والشعراء في ليبيا ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنه ما من أمر يتعلق بهما إلا وكان شاعر اهتم به وكان له في شعره الحظ الأكبر، وكانت حرية القول أعلى الحريات وأعزها ذلك - ببساطة لأن القول والحرية لا تنفصلان، إذ لا تعبير عن حرية الإنسان إلا بالقول الذي هو البداية والنهاية لكل شيء في الوجود (108)".

حيث نرى أن مزاوله الحرية تعني أن يرفض الكاتب أن يستقبل أفعاله من الآخرين طوعاً، أو كرهاً، لأنه يبتغي أن يشكّل فعله في الحياة بإرادته المستقلة (109) وبهذا سيقع في صراع، واحتكاك مع الحكام الذين يمتلكون النفوذ في الكبت والتخويف فلا يجد لنفسه مخرجاً إما أن يذعن ويعيش عيشة الهوان، أو يعلن العصيان فيخوض غمار الحبس والتوقيف.

4- الاغتراب النفسي:

تُعد الرابطة بين الوجدان والفن بعلاقة وثيقة ومترابطة، لأن الوجدان هو الذي يُنشئ الفن، والفن هو الذي يصلق، ويهذب الوجدان، إذ إن النفس " تضم أركان العيش لكي تُنتج منه الفن، والفن يستكشف حقائق العيش لكي يبين جوانب الوجدان" (110).

فالأديب المحنك هو الذي يجعل من نتاج أدبه مَصَدراً يُبين به هواجسه، وأحزانه وآماله لا يصل رؤيته، وخبرته في الحياة لغيره، فالنص الأدبي يمثل تجمُّعاً من الأحاسيس الباطنية والصراعات، والأوضاع الاجتماعية السائدة.

فالغربة الوجدانية من الأصناف الواضحة التي يلمح إليها عدد وافر من الشعراء فالكثير منهم يعيش وضعاً نفسياً بسبب انتقالهم من مكان لآخر، أو من نمط اجتماعي لنمط اجتماعي مغاير، مما يُلحق بهم أعباء نفسية كبيرة، فينطبع ذلك نفسياً على أشعارهم ، ويجعلهم متمسكين بإحساسهم حول ما أصابهم مؤخراً، كفقْدان شخص عزيز، أو التحول لبيئة أخرى مغايرة لما

108- الشعر ومعرفة التحرر الوطني، الفصول الأربعة، د، فهمي خشيم، الفصول الأربعة، العدد6، إبريل 1979م، ص74.

109- ينظر: الشعر الحديث في ليبيا دراسة في اتجاهاته وخصائصه، د عوض محمد الصالح، أستاذ مشترك جامعة قاريونس، 2002م، توزيع المعارف منشأة بالإسكندرية جلال حزي وشركاء، ص304.

110- التفسير النفسي، عز الدين إسماعيل، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، د، ط1963م، ص44.

كانوا يعيشونه، فيُحسّ الشاعر بتلك العُربة النفسية التي تلزمه بالإعلان عنها عبر نتاجه الشعري(111).

وقد يسقط الشاعر في تضارب بين الدنيا التي يعيشها والصورة التي يرسمها في خياله، والتي يجاهد بشدة لبلوغها والوجود فيها، فيصطدم بالحقيقة القاسية التي تقوده إلى العزلة النفسية، فالعزلة النفسية هي " حالة شعورية قوية، تسيطر على مخيلة الكاتب وعقله، تجعله يشعر بحاجة ماسة للهروب من المحيط الذي يحيا فيه لأنه لا يتوافق مع طباعه، وأمانيه ولا يُشبع تطلعات وجدانه، إلى محيط جديد يصوره خياله ويتشوّق إليه لأنه يزيد من سَمَت حياته المعنوية، ويوسّع نطاق رؤيته"(112) ، وعندما لا يتمكن من نيل عالمه الأمثل ويشعره بغربته النفسية التي تكون ناتجةً عن الخيبات المتكررة التي تحيط به من كل ناحية جراء التحولات التي يمر بها، ويلاقيها في معيشتها ، والتي غالباً ما يحس حيالها بالضعف، والصغر والعجز وهنا ينتاب المرء الإحباط ويتجه نحو الاختباء، والاعتزال أو يتخذ سلوكاً جبرياً غير سوي في تحدٍ صارخ للمجتمع وفي كلتا الحالتين يكون دخيلاً(113).

إن تكيف الشعور الإنساني مع التجانس، والتوافق مع التحولات المترتبة، وغير المناسبة لرغبته، ما جعله يتراجع، وينطوي على ذاته، وحوّله يتعثّر في ظلمة التقرد والوحدة.

فالخلل النفسي هو محصلة لمجموعة من أصناف التغريب، أي أنه نتاج تجميع عدة أشكال غربة كالتجمعي، والعاطفي، وما شابههما، إذ أن توالي الإخفاقات، وخيبات الأمل يقود المرء إلى اعتزال عالمه اعتزلاً تاماً، أو شبه تام، وسعيه إلى الوصول إلى واقع مغاير غير قائم إلا في تخيله(114).

إحساس المرء بفقدته قدرته على التحكم بعلاقاته في نواحي العيش كافة تُشعره باليأس والعجز، وأيضاً إدراكه لعدم استطاعته بلوغ آماله وتمنياته يُنشئ لديه الغربة، وذلك لـ"منبعه

111- ينظر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1978م، ص117.

112-النص الأدبي التشكيل والتأويل سعاد عبد الوهاب العبد الرحماني، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص155.

113-ينظر: الشخصية واضطرابات النفسية رؤية في إطار علم النفس الإيجابي، سليمان عبد الواحد إبراهيم، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014م، ص190.

114- ينظر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر لمرحلة لرواد، دراسة، محمد راضي جعفر منشورات اتحاد الكتاب العربي 1999، ص45.

تباين ميزان طموحات الفرد عن ميزان مقدوراته، فالهدف لكل إنسان حينذاك هو التمكن والتفوق فإن لم تُسَعفه إمكانياته بنيل ما خُلِق به فإنه يتدهور وقد ينعزل أو يحدد" (115).

مما جعله يعيش في وضع صراع بينه وبين نفسه التي من المستحيل الإفلات منها وتجعله يحس بالاضطراب وقدرته على مجابهة متاعب العيش.

وليس بالأصعب أن يكتشف الباحث علامات الاغتراب النفسي لدى أي شاعر من الشعراء، فأغلب قصائدهم تكون بداياتها تتناول العذاب والمشقات التي يمر بها الشاعر في ظروف نفسية خاصة، وكذلك يتضح ماهية العذاب وعمقه، ومعرفة امتحانات وتلك الوحشة عند الشاعر (116).

5- الاغتراب المكاني :

للمكان أهمية بالغة في نفسية الإنسان، فإذا شعر بالاطمئنان والهدوء في الحيز الذي يقطن به، انعكس ذلك إيجابياً في دواخله الذاتية وعلى سلوكه وأفعاله الظاهرة فالمكان، هو "الإطار الذي يشكل مسرحاً لسير الوقائع وتحرك الأفراد، وما تحمله تلك المواقع من ارتباطات بالقصة، وتأثير على الأفراد" (117).

هو الحيز والنطاق الذي يشتمل على الشخصيات والأحداث التي تدور فيه، وقد لاحظنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما ضيق عليه أهل مكة الخناق، أحسّ بالغرابة الموضوعية، وهو في المكان الذي وُلِد ونشأ فيه (مكة المكرمة)، فغادرها مهاجراً إلى المدينة المنورة، خاطب مكة قائلاً: "والله إنك أطيّب بقعة لله، وأحب بقعة لله إلى الله ولو لا أني أخرجت منك ما غادرت" (118).

115- الشخصية واضطرابات النفسية رؤية في إطار علم النفس الإيجابي، ص190.

116- ينظر: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، عبد الرحمن عفيف، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1987م، ص294.

117- المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا، وليد شاكر النعاس، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص112.

118- سنن الترمذي، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، 1975م، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم علوي عوض، مطبعة عيسى الباني الحلبي، القاهرة، مصر، ط2، حيث رقم 3925، ج5، ص722.

يتضح من خلال الحديث السابق أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أحسّ بالغربة والوحشة في ذاته، وفي الموقع الذي أقام به، واعتاد عليه منذ الصغر، إذ انتقل من الخروج منه إلى موضع لم يألف العيش فيه.

ويُعد الاغتراب المكاني أبرز الأنماط التي يعيشها الشاعر، فالبيئة التي يقيم فيها الشاعر لها دور فعّال وجوهري في نفسية الشاعر وطبيعته إذ أحدث الموقع في كيان الشاعر فجوة وجدانية، وصيحة موجهة، عبّرت عن الواقع غير المتوافق مع الذات إذ نلمس عبر ستار المكان صرخات مكبوتة توحى بمعاناة التوتر والاضطراب والحيرة، بعد أن ترك الشاعر بلده ومَهّد طفولته مُختارًا أو مُجبرًا ليعيش مسيرة جديدة من صنف آخر تبدو فيها مظاهر الاغتراب والمعاناة (119).

6- الاغتراب الزماني:

يمثل الوقت شكلاً جوهرياً من أشكال الاغتراب، لكونه عاملاً مؤثراً في الإنسان إذ صار الوقت يمثل محوراً رئيسياً في تكوين ظاهرة الاغتراب البشري، وذلك من خلال فقدان التوافق الوجداني، والتناغم الذاتي مع اللحظة التي يعيشها الفرد وظهور حالة من الانفعال بفعل تلك التحولات النفسية، وربما تبدل المعالم المادية للمكان، لأن الزمن يمثل قوة مؤثرة تشمل الإنسان والمكان كليهما (120).

فالزمن هو نقطة الوصل بين الماضي والحاضر، والمستقبل، ومن ميزاته التحول والتبديل، فهو يلزم ارتباط وثيق بالحياة، إما أن يكون تحولاً سلبياً، أو إيجابياً، وذلك يكون من خلال توافق وتناغم نفسية المرء مع الفترة الزمنية التي يعيشها، ويُعد الاغتراب الزماني من الأمور الغامضة غير المفهومة "لأن الصلة بين الإنسان والزمن أكثر إبهاماً من الصلة بينه وبين المكان، فالمكان مستقر نسبياً، أما الزمان فهو متحول وبالتالي فتأثيره النفسي على الإنسان أكثر إبهاماً كذلك، فالإنسان قديماً يدرك شيئاً محدداً أو يشعر بإحدى الحواس الخمس أو أكثر من حاسة واحدة، بينما يتطلب إدراك الزمن الحاسة الفكرية أو العقلية" (121).

119- ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري (دراسة اجتماعية نفسية)، مرجع سابق، ص85.

120 - ينظر: المرجع نفسه، ص75.

121- الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن حلوان الروائية، يحيى العبد الله، دار الفارابي، عمان، الأردن، د، ط، 2005م، ص28.

ولهذا احتوى نطاق اللحظة كل المفردات الدالة على ذلك المضمون وأثره في إحداث تحولات مستحدثة، قد تقود الشخص نحو الضياع والاغتراب كالأيام والسنوات والدهر، وقد غدا الصراع ضد المدى من الشؤون المفزعة الكالحة التي أضنت الأديب في غربته (122).

وقد صار النزاع ضد الأمد من المشكلات التي أضنت الأديب في غربتهم "فكان الأديب يحملون الأمد الكثير من خصوماتهم الذاتية التي نبعت جراء الانتكاسات التي لا تُوافق التطلعات، وكأنه هو الذي يُسيّر الأحوال، والمسؤول عن تلك التحولات التي لازمت سجايا البشر وتصرفاتهم بما لا ينسجم وأماني الشاعر وميوله وآماله، وبناءً على ذلك شرع الشعراء يُفرغون غضبهم عليه والشكوى من تقلباته، من خلال إبداعهم الذي يحوي بين ثناياه وجع الروح ومرار الظرف، والتي تولد جراء عدم توائم الروح مع الأمد بأوضاعه المتنوعة مما دفع تلك الروح نحو الاغتراب (123)"

المبحث الثاني - نماذج من شعر خالد زغبية وحسن صالح:

1 - الاغتراب الاجتماعي:

¹²² - ينظر: الرؤى المقتعة نحو منهج بنيوي ففي دراسة الشعر الجاهلي، كمال أبو ديب، الهيئة المصرية العامة لكتاب، 1986م، ص324.

¹²³ - الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري، دراسة اجتماعية نفسية، ص75.

وقد يحدث الاغتراب الاجتماعي عندما تعترى بعض مبادئ المجتمع بالاختراق تتأخذ حلقات التواصل الاجتماعي بالانهيار وتظهر علامات الرفض والاستنكار وتأخذ تلك المظاهر بتهديد الذات والجماعة، وهذه الحالة من الاغتراب تبين أوج النزاع الذاتي الذي يمكن أن يصيب الإنسان، فالفراد يشعر بالجور والاجفاف والغلبة، فيحس بالضغينة اتجاه المحيطين به، وقد تكون أسباب هذ المشاعر في أوقات خيالية، أوقات أخرى حقيقية.

ولاريب أن دوافع الاغتراب تظل تتسع في بسطها أو تنحصر على حسب تباين الرؤية الداخلية وبعدها عن نطاق الوعي العام لثقافة الإنسان وعدم قبوله للقيم والأعراف الشائعة الممثلة لرؤية الجماعة " على أن الإنسان يكتسب بعض الصفات التي يصطبغ بها المجتمع الذي يعايشه، ولكن تبقى طاقاته محدودة في ظل بعض الظروف القاهرة، فتغدو الذات أحياناً غير قادرة على التكيف مع الواقع ولاسيما في عصر ساد فيه الانشقاق والاضطراب والتناقض، وبات الإحساس بعدم التواءم مع البيئة مسيطراً على الشاعر المرهف لوجود هوة تفصله عن مجتمعه"⁽¹²⁴⁾ فمن الطبيعي أن يلزم ذلك الاحتجاج والامتناع صراعاً ظاهراً أو باطنياً بين القوميات بواسطة استطاعة التفاعل مع بعض القيم والمعتقدات المستجدة، والتي كادت تنهي أو تشوه العرف الاجتماعي العربي الذي أقر الإسلام أسمى قيمة وجعله مركز تدريسه ومصدر مسيرته الخالدة فهناك مسلمات وثوابت صارت تثبت أن من دواعي اغتراب الشاعر ذلك الاختلاف الناتج بين بيئته الخاصة والواقع المحيط به، كما إن أي تمرد حاصل في مقاييس وضوابط مجتمع معين، قد يؤدي الشاعر والمتقف عامة على الاغتراب.

ولقد أوضح لنا الشاعر (خالد زغبية) في هذا النوع من الاغتراب براعة تأثير التفاوت الطبقي في مجتمعه، حيث جسد بمهارة مشاهد الفقر، والبؤس التي كان يعايشها ومن خلال أشعاره قائلاً:

يا رفيقي

كلما أرسلت غنوة

من صميم القلب حلوة

¹²⁴ - ينظر : الإبداع في الفن، قاسم حسين صالح، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د.ط، 1988م، ص66.

غنة ، أسكب فيها كل أنغام شجوني

وعذابات حيني

لحنها صرخة جاع

يتضور

وابتهالات مريض يتوجع

أو ضراعات رفيق يتكسح

في الشوارع

قلبه المملوء حقد يتألم

جيبه الفراغ يستعظه أن يتكلم (125)

تعبّر هذه الأبيات عن أعلى درجات الاستياء التي كان يعانها الشاعر، حيث تجسّد عذاب الحرمان، والعوز حتى من أبسط احتياجات الحياة، كقلة الطعام التي دفعته إلى المرض، وجعلته يتخبط في الشوارع، والطرقاات بحثاً عما يسد به جوعه، ويخفف من ألمه الذي أنهك روحه، وأثقل كاهله بالفقر والمعاناة، وتزداد أزمة الإنسان عمقاً عندما يسيطر عليه الخوف من المجهول، وما يخبئه المستقبل من تحديات ومتطلبات حياتية أساسية، كالمأكل، والمشرب، والمسكن، وهي الأمور اللازمة لضمان البقاء والاستمرار، هذا النوع من التفكير يولد شعوراً بالغرابة والانعزال عن الذات، وقال أيضاً :

كأنا أعراب .

في موطن الأنصاب والأرباب

في موطن يكفر بالقيم

125-الأعمال الشعرية الكاملة، السور الكبير، إلى علي الرقيعي، خالد زغبية، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام إدارة الكتاب والنشر، ط1، 2007م ص67.

يسخر بالقمم

يصنع من أحلامنا سرداب ..

يقبر فيه كل مشرب للضياء .. (126)

وهو ما برز جلياً في كلمات الشاعر (حسن صالح) حين قال:

ما دمت أحياء ضائعاً متشرداً

من غير أحباب، ولا بيت

ما دمت أحيائنا متعطشاً

للعطف والإيناس والقوت (127)

هذه الظروف القاسية التي مر بها، من معاناة وعذاب وحرمان وضياع، جعلته عرضة سهلة للاغتراب الاجتماعي.

أما حالة الفقر التي كان يعيشها (حسن صالح) بسبب الظروف الاجتماعية التي فرضتها عليه فصورها في قوله:

و من بعيد

تفوح رائحة الحساء

وتلوح أشباح النخيل

وكوة الدار الحقيرة ، والضياء

ومشائل النعناع تغمرها المياه

وأنام خلف الدار تحت زريبة الغنم الرطبية

126 - الأعمال الشعرية الكامنة ،خالد زغبية، ص 140.

127 - ديوان بعد الحرب، حسن صالح، عقوق،إصدار وتوزيع دار النشر الليبية،ط1، 1963م، ص11.

حولي تطلُّ وتختفي صور رهيبة

صورٌ وأحلامٌ وهيبة

وروى غريبة (128)

صوّر الشاعر (حسن صالح) قسوة الحياة التي يعاني منها بتفاصيل مؤلمة تعكس واقعاً ثقيلاً، يقضي معظم نهاره في رعي الأغنام بين البراري والمروج، بينما يشغله التفكير في نهاية يومه، هل سيجد مكاناً دافئاً يأوي إليه ليستريح ويغفو على أمل أن يرى أحلاماً سعيدة؟ أم أنه سيبحث عن طعام يملأ به بطنه المترنح من الجوع ويعوض جسده المنهك بعد يوم حافل بالتعب والمشقة؟ أما عن مظاهر الاغتراب الاجتماعي، فتبرز بشكل واضح في العلاقات الإنسانية المتباعدة بين الأهل والأصدقاء، فمن الطبيعي أن تكون الحياة البشرية قائمة على مجموعات متجانسة ومتوافقة، تجمعها المحبة والصدقة، والانسجام، ولكن عندما تُخترق هذه الروابط أو يبتعد الأصدقاء، ويصبح الإنسان ضحية للاغتراب الاجتماعي، يُطوّقه الحزن والألم الشديد لفقد تلك الروابط، ويزداد الألم مع استرجاع الذكريات الجميلة التي تحرك الشوق لأولئك الذين غابوا، مما يدفعه إلى التمني بلقائهم يوماً ما، وهذا الإحساس المرير بالوحدة وفقدان التآلف يظهر جلياً .

أما الشاعر (حسن صالح)، فقد عاش أعمق أشكال الاغتراب نتيجة التفكك الأسري الذي أعقب انفصال والدته عن والده وزواجها من رجل آخر، وهذا الوضع جعله يمر بطفولة تعيسة مليئة بالشقاء والمرارة، حيث شعر بالفقر، والوحدة، والتشرد.

2- الاغتراب العاطفي:

إن حقيقة ظاهرة الاغتراب العاطفي يمكن في أنّها خطوة لإظهار صلة الذات البشرية بحقيقتها على خلاف ما يلزم أن يكون من توافق وتأقلم، ولكي تقع تلك الحقائق في نطاق رصين، كان من الواجب محاولة تجزئتها في سياق محاور دقيقة معينة تحددتها طبيعة الدراسة؛ ونتيجة الوقائع الثابتة التي ينقضي إليها الاستقرار (129).

128 - ديوان، بعد الحرب، عقوق، حسن صالح، ص12، 13
129 - الاغتراب الشعر العربي في القرن السابع هجري، ص97.

ويعد الشوق ، والطيف، وشجو الحمايم، والشكو والوشى ، الفراق والوداع، من أهم عناصر الاغتراب العاطفي.

و في هذا النوع من الاغتراب جسد الشاعر (خالد زعبية) في قصيدته (أغنية إلى عشيقته)، حيث عبّر عن ألمه، وخيبته بعد أن خانته عشيقته ، واختارت شخصاً آخر بدلاً منه، قائلاً:

أتذكرين يا رفيقة النضال؟

أتذكرين الحب والوصال؟

قد كنت يا رفيقتي كواحة خضراء

وريفة الظلال ،،

أستروح الأنسام في رحابها الجميلة(130)

يعبر الشاعر بوضوح عن شدة شوقه وألمه بسبب طول فترة الهجران من طرف حبيبته، موجهاً خطابه إليها في محاولة لتخفيف حدة شعوره بالاغتراب والتوتر النفسي، ويسعى من خلال الشعر إلى التخلص من أحزانه، وأوجاعه، مسترجعاً ذكريات الأيام الجميلة التي جمعتهما، أملاً أن تصل مشاعره إليها، وأن تعيش ما عاناه، ما يزيد من عمق الجرح ، وهو تأمل تلك الخيانة التي حولت حياته إلى تيه وضياع، حيث يتسلط الحزن والندم على قلبه بعدما أدرك أنه أعطى حباً لمن لم تكن تستحقه، وخيانتها له بزج قلبها في قصة حب مع رجل آخر تابع للحاكم، وتركته منهكاً وعاجزاً أمام آلام القلب المتزايدة ، وقد عبّر عن شعوره بأروع قصائده:

واليوم – يا ناكرة للعهد!

خنت حبنا القديم !

أحببت ،،

لكنما يا بنس من أحببت

130_ الأعمال الشعرية الكاملة، أغنية إلى عشيقة قديمة، خالد زعبية ، ص298.

مهرجاً ،، دجال ،،

وماسحاً أحذية السلطان ،،!

وراقصاً في مهرجان الملك الضليل !!

وسائساً للخيل في مزرعة الأمير،(131)

كل شاعر يتعاطى ويتصرف مع أشواقه، وأوجاعه، وغربته حسب روجه وقسوة كَمَدِه، غير أنهم يوّحدون في الألم والأثمة وسُهاد الليل.

وكثيراً ما يُذنب الشاعر (حسن صالح) المرأة بالخيانة، لأنه اکتوى بالخيانة مرات عديدة؛ أولها حين هجرته أمه، وتزوجت رجلاً آخر، فعنى بتربيته والده، ومرة أخرى عندما طلب من محبوبته العودة معه إلى الريف فأبّت الرجوع، وبقيت في المدينة، وعندما يعي الشاعر أن فؤاده لا يقوى على الاستسلام لتقلبات الحياة وشعوره المرير بهجران وترك الحبيب وما آلت إليه حالته من غربة، جعله يشعر بعزلته (132) يقول حسن صالح :

فهيا بنا ننطلق من جديد

إلى جنتي مرة ثانية

وخلي المدينة في لهوها

تعج بلذاتها الفانية

ومجتمعاً غارقاً في النفاق

يساق ببطء إلى الهاوية

عبادته في الحياة الرياء

وتقواه شعودة بالية

¹³¹- المصدر السابق، زغبية، ص298.

¹³²- ينظر: دراسات نقدية في الأدب العربي، د.محمود الجادر، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، د، ط، 1990م، ص31.

وهيا إلى الريف حيث النفوس

س كبار وأخلاقها سامية

وهيا إلى الريف مهد الجمال

ومهبط وحى واشعاريه

فقالت اتبغي بنا أن نعود

إلى البؤس في كنف البادية (133)

فتتصاعد الوحدة الشعورية في نفس الشاعر حين عاد قاطناً إلى الريف، ليطلق صرخة من أعماق فؤاده، وانهمار الدموع لعدم اقتناع محبوبته بالعودة معه، يقول:

فخلفتها داعم المقلتين

وعدت إلى روضتي الغالية

إلى الريف مهد الهدى والجم

ال رجعت اكفكف اشجانيه (134)

وهذه الصرخة المصحوبة بتدفق الدموع الناتجة على الحس المرهف والرقيق والشعور بالضيق والوحشة والجرح نتيجة لفراق المحبوبة، يولد عند نفسية الشاعر الاغتراب العاطفي. لهذا فإن حقيقة ظاهرة التغريب تكون في إيضاح ارتباط الذات البشرية بواقعها بخلاف ما يكون فيها من تأقلم وتجانس.

3 - الاغتراب السياسي:

¹³³ - ديوان بعد الحرب، الجاحدة، حسن صالح، ص36.
¹³⁴ - ديوان بعد الحرب، الجاحدة، حسن صالح، ص36.

إن لأدب من ضمن المجالات التي تعد وثيقة مهمة لتجسيد بعض القضايا السياسية والاجتماعية، عن طريق تصوير عواطف الأدباء وأثر تلك الحوادث في ذاته فالشاعر مراعاة لمواطنه عندما يصور مشاعره وإحساسه؛ نتيجة ما يمر به من حوادث، ومن الضروري لسياسة من أن تهز وجدانه وتشعل مخيلته وتثير شجونه إذ أن أغلبية الشعراء يجسدون في بعض أشعارهم التقلبات التي تمر بها مجتمعاتهم، فأصبحت أشعار الكثير منهم وثائق تاريخية مهمة لا يمكن إغفالها.

وإنّ الحديث عن الدوافع السياسية تتحدث عن الدوافع النفسية التي افرزتها تلك الدوافع، إذا تؤدي الاضطراب والضعوطات الداخلية إلى خلق ظروف نفسية وحالات الصراع العقلية والانفعالات السلبية، فتكون ردود فعل الناس اتجاه ذلك الواقع السيء "إما بالاعتكاف والانزواء والبكاء والتضرع من أجل حياة أخروية سعيدة، ولاسيما في أيام النكبات الاقتصادية والسياسية" (135).

أما في الاغتراب السياسي فالشاعر (خالد زغبية) قد ذاق مرارة الحبس ومُني بحرقه؛ وذلك لأنه لم يتنازل عن مقتضيات الفن وغايته الرفيعة، يقول :

يا رفيقي

كلما أطلقت آهه

من صميم القلب حرة

آهه تحمل في طياتها كل انطلاقي

وانعتاقي

من قيود الصنم الأخرس، حرة

يا رفيقي

135 -طبيعة المجتمع العراقي في العصر العباسي المتأخر، حسين علي قيس محمد القيسي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط/2007، م1، ص183.

كلما أرسلت زفرة ، أحشد فيها كل حقدى وانتقامى

من نواطير الظلام

خالها قيصر جناحة

بل حريمة

وانبرى يحصى على زفراتى

يتر صد

حركاتى ،،، سكناتى ويعدد خلجاتى

ومضى يرسل فى أعقابها كل غراب

او زكاماً من ضباب(136)

لزاماً على كل مُطالع لهذه المقطوعة أن يدرك عمق معانيها وما يختبره الشاعر من خيبة وضغوط، والغم الشديد، الذي سيطر على مشاعره، وسعى لنشره في قصيدته والقلق، والتشاؤم، واليأس هي مؤثرات سلبية تجتاح وجدان المرء حين تقنى لديه أحاسيس الطمأنينة واليقين بخلصيه، جعلته يرمى الدنيا بنظرة قائمة وطّدت شعوره بالعُربة وزادت هواجسه.

ويقول أيضا :

الجماهير الفقيرة ...

التي عانت كثيرا ...

والتي كانت تقاسي ...

تتألم ...

تتعذب ...

136الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، ص 65، 66.

في دهاليز زنازين الحكومات الأجيّة... (137)

يتكلم عن القضية الفلسطينية التي كانت ولا تزال تعاني وتقاسي الأمرين ، ويبين الشاعر معاناة شعبها من شدة العذاب والألم الذي قد يصل إلى صاحبه حتى الموت وهم معتقلون داخل زنازين السجون.

ويشارك الشاعر (حسن صالح) هو الآخر قلق متيقظ ، فهو يجسد عناء الأمم أبان هيمنة الاحتلال على الأوطان، وتواطؤ الحكام معهم، وشدة القسوة التي حلت بأبناء الوطن الكادح، وعمّة الزنازين التي تضج بالأبرياء من أبناء أمتنا الذين ما كان لهم ذنب سوى أنهم رفضوا الجور، والاعتداء وناشدوا بالتححرر والنداء للممانعة، لتبديل هذا الحال البائس يقول:

حبيبي ، لا تئسي إن كنت من بعيد

فلا يضيرتي المكان

إن كنت من (بكين، أو عمان)

لأنني إنسان

حبيبي لأنني إنسان

اكفر بالحدود والأوطان

ودائماً أغنيتي السلام والأمان

للعالم المعذب الحيران (138)

فالشاعر يرى أن خصوم الإنسانية واحد في كل مكان من أصقاع الدنيا، هو القحط والجور والنزاع، ولهذا تجده منصرفاً جداً بالتدابير الداخلية التي تخص بلده، وأيضاً بالسياسات الخارجية التي تهم الكون كله، فسب ولعن القادة، وتطبيق القسوة والوحشية في مصادمة جماهيرهم من صوب، وخوف، وخضوع، وهوان، القادة من مواجهة التعدي من صوب آخر،

137 - المرجع نفسه: عصر السنابل، ص 429.

138 - ديوان: بعد الحرب، أغنية حب وسلام، حسن صالح، ص 71.

إلى أن تلاشت مفاخر الأمة ونهبت ثروات البلاد الأمر الذي جعل من الشاعر يعيش الغربية العظيمة بما فيها الغربية الحكيمة.

ويقول أيضا:

و تعود بي الذكرى الى القاضي البدين

والتهمة الشنعاء ، والحكم الرهيب

من اجل انك كنت تخطب في الرعاع

وحتالة العمال ، والمتعطلين

و كنت تدعو للسلام

وتهاجم الاحلاف ، والمتحالفين

والغاصبين

و كنت في صوت طليق

تدعو الى الدنيا التي لا حرب فيها ، لاصدام

بين الانام (139)

يتحدث الشاعر عن اغترابه السياسي من القيود التي فرضها الاستعمار في ذلك الوقت من قمع الناس وإخماد أصواتهم التي كانت تدعو إلى الحرية والسلام، وإلى الحياة دون حرب.

3- الاغتراب النفسي :

الاغتراب النفسي متصل بالاغتراب الاجتماعي، لبدئه من نفسية الفرد، فمصدره الأول هو المجتمع بما فيه من حوادث وقضاياها، لذلك قيل إن الاغتراب النفسي هو سياق يتعلق بما يحدث للإنسان من ضغوطات ذاتية، وذهنية، وما يصيبه من شعور بالاغتراب عن العالم والتراخي أو تباعد في صلته بالآخرين، فانفصال الفرد عن نفسه ومحيطه الذي يعيش فيه

139 - ديوان بعد الحرب، رسالة إلى سجين عربي، ص48.

ناتج عن احساسه باختلافه عن الآخرين حاصل من فقدان الإحساس بشكل خاص من العلاقة بينهما، ومن ثم زوال الشعور بالقدرة على تعديل الظروف، وحتى انعدام الاستطاعة على اكتشاف القيمة في الحياة، إذ يؤدي ذلك إلى إنشاء حالة من اغتراب الذات عن المحيط المادي(140).

ويجتمع الكثير من علماء النفس في وصف مظاهر الاغتراب، على أنّها إحساس شائع بالوجع ، والنكد وفقدان الأمل، والوحدة الاجتماعية ، والاختفاق، إذ يتصف المغترب بالاضطراب، والتشاؤم، والخمول النفسي، وفي معظم الحالات يكون عدائي في تصرفاته مع الآخرين، يصاحبه شعوره بالوهم وفقدان الحس العملي، والضجر، والتوتر، والاستياء، وربما لعدم فاعليته في هذه الدنيا، وقد تتداخل هذه الإبعاد فيما بينها، حيث يتضاعف شعور الإنسان ببعد واحد أو أكثر من هذه الإبعاد(141).

كما أنّ الاغتراب النفسي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأنواع الاغتراب الأخرى، وذلك لأنّ الشخصية البشرية وحدة مدمجة في جوانبها النفسية والاجتماعية.

وإن الأديب يُبدي عن العديد من صفاته الذاتية ومكوّنات عيشه ضمن إبداعه النثري الذي يسرد، ولهذا لا يعسرُ على كل من يستمع أو يتصفح النص أن يستكشفه وتجذ هذا جلياً في شعر (خالد زغبية) يقول:

ما أقسى أن يصمت شاعر

في وطني،، أن يغفو حرف ،،

أن تطوي كلمة ،،

في الظلمة ،،

أن تخفت أنقام عذبة ،،

140 -ينظر: الاغتراب سيرة ومصطلح، محمود رجب، دار المعارف القاهرة، ط/1988، ص3، ص35، وينظر: الحس الاغترابي في أعمال روائية لغسان كنفاني، مريم جبر فريجات (بحث) مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الغنسانية، ص806
141 -ينظر: الاغتراب وعلاقته بمفهوم الذات، أمال محمد بشير، أطروحة دكتوراة، كلية التربية، جامعة عين شمس، 1989م، ص13.

من شفتي فنان ثائر

في ليل أبدى كافر

أحبابي ،، ما أقسى الوحدة ،،

في قلبي ،، تنمو أدغال وحشية

يمرح فيها حزن داعر

يختال الأشواق الحلوه⁽¹⁴²⁾

نعي أن من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يجتاز مرحلة من اليأس الوجداني، التي ألزمتها الصمت، والعجز عما أصابه من جور وظلم، جعلته يقضي حياته في اعتزال قهري عن بقية البشر، فامتلىء فؤاده بالحزن، والكآبة وإن كانت قليلة؛ لأن "الوحدة هي حركة البدء في جدلية الغربية⁽¹⁴³⁾" ، فإن الغربية صارت تتمثل بمظاهر الانعزال الناتجة عن شعور المرء بأن الآخرين لا يساوونه فكرياً، ونفسياً، وعلمياً، وما يحمله المجتمع من أساليب شاذة، وفرض سياسي، وتضارب في الآراء، والمفاهيم، ولهذا تبيّن عن الاغتراب النفسي جملة من الآلام الداخلية للنفس البشرية، فقد أثمر الشعور بالوحدة والوحشة، أو هاجس الموت، وفقدان الأحباء إلى تنامي الإحساس بالغربة النفسية، ومن ثم الانفصال عن الناس، وعدم تفاعلهم، أو التناغم معهم، وعدم اليوح بمشاعرهم وعواطفهم، ومعاناتهم العزلة والعجز والارتباط بالآخرين وغياب المكنة على التعامل معهم⁽¹⁴⁴⁾.

ويقول :

حياتي صراع

وجهد مضاع

صراع مع القدر الظالم

¹⁴² - الأعمال الشعرية الكاملة، اغتبان للحزن، خالد زغبية، ص 273، 274.

¹⁴³ - الإنسان والاعتراب، د.مجاهد عبد المنعم مجاهد، سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1985م، ص27.

¹⁴⁴ - ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري دراسة اجتماعية نفسية، ص123.

ينبئ علي ، بأعبائه

ويقسو علي، بأرزائه،

يجرني اللوعة الحائرة

ويرمي بنفسي فدى للعذاب

ويجتاح ذاتي، بثتى الصعاب (145)

يعيش الشاعر حالة صراع مع الحياة الظالمة التي رمت وأثقلت عليه أعباء القهر والعذاب والجور، فجعلته يتجرع قسوة الاغتراب النفسي الذي سيطر على كل كيانه.

ويتجلى هذا الإحساس أيضا بوضوح في كلمات الشاعر (حسن صالح) الذي هجرته والدته، وهو لا يزال رضيعاً صغيراً، بعدما افترقت عن أبيه، وتزوجت رجلاً آخر، وفأثرت أن ترك وليدها مع أبيه، في مرحلة كان أحوج ما يكون فيها هذا العمر إلى حضن أمه، فهي منبع الرأفة والحنان، وبغيابها يفقد الطفل ذلك الدفء الذي يمكن أن يلجأ إليه كلياً، ليجد نفسه منذ بداياته الأولى يعيش أوضاعاً نفسية متعبة وقاسية تركت أثرها العميق في وجدانه، يقول:

أماه ، يا مرضعة البغضاء، والمقت

حيث تقيمين ، وأينما كنت

ملعونة ، ملعونة ، أنت

ما دمت أحيا ضائعا متشردا

من غير لحباب، ولا بيت

ما دمت أحيا ظامنا متعطشا

للعطف، والإيناس، والقوت(146)

145 - الأعمال الشعرية الكاملة، صراع مع الكون، ص180.
146 - ديوان ،بعد الحرب ،عقوق ، حسن صالح ، ص11.

أبرزت هذه الأبيات غزارة ما يحس به الشاعر من لوعة، وشقاء، وحاجة، وحقد وارتباك، مما جعله أسيراً لمصاعب ومتاعب نفسية، لكونه فقد مصدر السكينة والطمأنينة، مشتاقاً لحنان الأسرة وألفة الأبوين، كل هذه الأحوال العسيرة أفضت بالشاعر إلى استشعار قمة الغربة الشعورية.

ويقول أيضاً:

وتلوح أيامي الاخيرة في سماء الذكريات

قدمت انسان العهود الماضية

في داخلي

ويعيش انسان جديد

اليوم احيا في المدينة ضائعا بين الزحام

قلبي حطام (147)

يحس الشاعر (حسن صالح) بكمية الفراغ واليأس وهو يسترجع ذكرياته الجميلة الماضية فيتملكه الضياع والتشتت ويسيطر عليه الاغتراب النفسي لوجوده في المدينة المزدهمة التي لا يشعر فيها بالأمان والراحة.

5- الاغتراب المكاني :

إن كان التوق وللهفة إلى الوطن وقاطنيه من بواعث الاغتراب المكاني، إلا أن الشعور بالاغتراب المكاني خارج الوطن لا يتوقف عند الاشتياق و الحلم بالرجوع إليه فقط، بل يصاحبه شقاق شديد داخل النفس البشرية، قد يصل به إلى أي صورة من صور الاغتراب الروحي أو

147 - المصدر السابق، درب الضياع ، ص62.

النفسي، إذا صار الاغتراب المكاني يتحائل يوجد أن الشعراء وشجونهم المحترقة، فأضحت أرواحهم تعتصر وجعا وكمدا بثوه في ثنايا أشعارهم، فقد كان من أثر اختلال الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها بلدان الشعراء أثرا كبيرا في مغادرة عديد الشعراء من أوطانهم بحثا عن الامن وسُبل العيش الرغيد، وبما أن الشاعر أرق مشاعراً وأقوى عاطفة من غيرهم فقد أصبح يعاني الأمرين في الغربية، عندما بقى تفكيره بموطنه الأصلي، وأحاسسه بعدم انتسابه للمجتمع الجديد، وحنينه الديمومي إلى وطنه الأم هاجسا سرمديا، وسار يبحث في تيه الاغتراب بعيدا عن أهله ومجمعه، لأنّ المكان الذي نشأ فيه ظل كائنا بين أضلاعه، فبدت آثار الحرقنة النفسية واضحة، حين رجّت ذاته وهو يقاسي وجع التشرّد والابتعاد التي وجدت مداها داخل نفسه(148).

إن الشاعر (خالد زغبية)، يعاني من مرارة وعناء التباعد الجغرافي حين هاجر إلى الولايات المتحدة الامريكية، تاركاً موطنه الذي كان يقيم فيه، مودعاً ذكرياته المبهجة والحسنة، إلى مكان يشعره بالضيق والأسف، فمن فرط غربته، صار يتساءل أين يذهب؟ وماذا سيفعل؟ في أراضٍ مجهولة، لا يدرك فيها شيئاً، لامسالكها ولا أعرافها وسننها، ولا حتى أسلوب الحياة فيها، يقول:

أين أمضي

وكتاباتي ،،، وشعري ،،، وحياتي

ورفاق الذكريات

أين أمضي يا رفاق الذكريات ،،؟

يا رفاق الدرب ، والدرب طويل

لم ينزل قدمنا، حلم كبير

يترامي كالذهب(149)

148 - الاغتراب في الشعر العربي ، ص85.

149-الأعمال الشعرية الكاملة، انطباعات مغترب، خالد زغبية ، ص59.

إن الشاعر فكره تشتت من كثرة التأمل والتدبر، في معيشته والأسلوب الحياتي فيه بعد أن ودّع حياته الحسنة والمسعدة في دياره، وفارق رفاقه الأوفياء وذكرياته الجميلة معهم، والارتحال إلى بلاد الغرب، وأن فواده صار كالجمر يحرقه من شدة الغربة، ومن حنينه إلى وطنه وخلانه يقول في ذات القصيدة السابقة ثم يشجيني الحنين لبلادي العربية حيث كنا والرفاق كُنَّا، نَزُورُ الْمُقَاهِي، كُلَّ يَوْمٍ فِي الْأَمَاسِي السَّاجِرَةِ ثُمَّ نَمُضِي فِي التَّحَادُثِ وَالْحِكَايَاتِ اللَّذِيذَةِ.

والشاعر يتكلم عن ذكرياته، وأيامه الجميلة في موطنه، ومع أهله وأصدقائه وكيف كان يرتاد المقاهي، والمجالس والأمسيات الشعرية، وكيف يتناقل أطراف الحديث مع رفاقه، لقد كانت سفوحه سبباً مباشراً لإحساسه بالغربة وتداعي قدرته على التأقلم مع الأوضاع السائدة في المجتمع الجديد الذي يقيم فيه، إذ نبذه ذلك المجتمع، وتكرر شعوره هذا في نتاجه الشعري، فهذا الضياع الذي شعر به ما هو إلا انفصال حتمي للواقع الاجتماعي الجديد، فكان إحساسه بالغربة عن بلده وعائلته وقومه يثير حزنه وآلامه حين تذوق عسر الذل وهو يتذكر وطنه الذي عاش فيه مبعلاً، فيطلق صيحة الحزن والأسى⁽¹⁵⁰⁾، وهذا ما نحس به ويبلغنا إياه الشاعر حسن صالح عندما غادر بلدته الصغيرة وذهب إلى الحاضرة معتقداً أنه سينال السكينة والاطمئنان بها، ليكتشف نقيض ما كان يطمح إليه، إذ يقول:

لما تغشيتني الهموم أتيت نحو العاصمة

قلبي يئن لجرحه وخطوبه المتفاقمة

جئت المدينة علني ألقى الحياة الناعمة

فإذا بها وكر النفاق بكل وغد زاحمه

وإذا النفوس حقيرة لكنها متعاطمه⁽¹⁵¹⁾

¹⁵⁰ - ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري (دراسة اجتماعية نفسية)، ص 9.
¹⁵¹ - ديوان بعد الحرب، العودة، حسن صالح، ص 19.

تخيل الشاعر (حسن صالح) أن هروبه إلى المدينة بسبب المشكلات التي تواجهه والهموم التي تنقله، سيكون مستريحاً منها، والقيود أقل، والحرية مطلقة، وأن الهموم والاحزان سوف تتلاشى؛ نظراً لإنشغال سكان المدينة بأمور حياتهم، وعدم اهتمامهم بالروابط الاجتماعية والعادات المتعارف عليها، فوجد عكس ما توقعه، من قيود متشددة.

- أدرك أنه فر من غربته فوق ابشع وأسوأ منها، فكان لا بد من الرجوع إلى قريته
يقول:

حتى الشباب تحوطه تلك القيود الصارمه

مثل التقاليد العجاف الجائرات الظالمه

لله كم من زهرة ذبلت وكانت ناعمه

خلف الجدار وفي الظلام تعيش روحا هائمه

ترنو إلى اللاشيء في تلك السجون القاتمه

لا همس لا آمال، لا ذكرى تورق حاله

لا، لن أعيش هنا تقيدني القيود الغاشمه

فرجعت انتهب الخطى حرا بنفس حازمه

للريف فرحوس الحبيب ترف نفسي الباسمه⁽¹⁵²⁾

بما أن الشاعر مرهف الأحاسيس، وأكثر وجداناً، سيتحمل الألم من غربته؛ لأنه لا يتمكن من مجابهة القيود والتشريعات الصارمة، بل عدم انسجامه مع واقع الحاضرة مما ولد في نفسه صوراً من عدم الثبات والهدوء، جعلته يعيش القلق والتيه والرغبة الكبيرة في العودة إلى قريته إلى الأرياف حيث السماح والمودة بين البشر، إلى كنف الطبيعة والخضار.

6 - الاغتراب الزماني:

¹⁵² - ديوان: بعد الحرب، العوده، حسن صالح، ص 20.

يعد الاغتراب الزماني من المضامين الشعرية و النفسية وعلاقتهم بعصرهم، حيث يحس الفرد بالانقطاع عن المقام الزمني الذي يعيش فيه، وهذا الاغتراب تنكشف في صورة نزاع ذاتي، وتعبير عن الانقسام الروحي بين الشعراء وعصرهم بما فيه من مبادئ وتصرفات ومنظمات وتعقب هذه الظاهرة من عدم اتزان العلاقة بين الفرد وزمنه؛ بسبب تدهور المرجعيات الاجتماعية والثقافية، مما يجعل الزمن المعاش ثقل وجوديا، فإن الزمن الوجودي لا يتبلور فقط من التجربة الفردية بل يتأثر أيضاً بالبنية الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالفرد فالمجتمع يمكن أن يجعل الارتقاب أكثر شدة أو يجعل التفاؤل أكثر معاناة، بحسب درجة الإقصاء و الفوضى والأزمات التي يعيشها الإنسان.

ويجسد الزمان شُطوط عاطفيا واضحا في التجربة الشعرية العربية منذ العصر الجاهلي، حيث ظفر باهتمام خاص وإمعان متجذر من الشعراء، فتوجسوا منه وأداموا وجوده في أسمى صور التعبير الشعري(153).

ويظهر الزمن النفسي بكونه ميزة مركزية في بنية القصيدة، خصوصا في النصوص التي يسخر فيها الشاعر المستجدات والمجريات التاريخية والنفسية والاجتماعية التي نبؤها، لتتغير إلى عنصر شعري تقتضيه الذات ،فيصبح الزمان مرآة لنزعات والخصومات اليومية، وحاضرا على تحولاته الوجودية(154).

وهذا ما جرى لدى الشاعر (خالد زغبية) الذي يعبر عن خواطره السعيدة التي ولّت، وحل موضعها الحال الرديء الذي عاش الشاعر في كنفه، واصفاً الدهر بالظالم الجائر، لأن الأزمان البهية تعبر مسرعة كطرف عين، ولا يتبقى منها سوى استحضرات فقط، خلافاً للعيش الكريه الذي يمضي ببطء، فألقى الشاعر انطباعاته الذاتية عليه يقول:

الليل، والألم الممض ، وذكرياتي

الهاجعات..

153- ينظر: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصانع دار عصمي للطباعة و النشر القاهرة ،د.ط،1982م، ص7.
154- ينظر: الزمكانية في شعر الصراع مع الروم أبوتمام والمتنبّي وأبوفراس الحمداني نموذجاً، شرين خليل اندرواس، رسالة اجستير، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، 2019م، ص290.

تصحو على أضواء مصباح ضئيل ..

والساعة الحمقى تدق .. تشير

للزمن المقيت،،

وأنا، وأحلامي الطليقة، والدخان

عبر الليالي السود ، نستبق الزمان

والبرد يلحقني، فأشتاق للهب(155)

يوضح الشاعر أنه يستذكر أمجاده وأوقاته المبهجة في سباته ليلاً، أي عندما ينام يحلم بالوقائع السعيدة الماضية، راجياً أن يظل غارقاً في سكونه مستمتعاً بخيالاته وألا يحل اليقظة، ويرن لديه جرس المنبه ليبلغه أن زمن أحلامه المشرقة والحميمية قد انقضى، ليعود إلى واقع الحياة القاسي والبارد، ليعاود ويسابق الأيام ليحل المساء مجدداً، ويستريح في سباته، ويسترجع خاطراته الوردية، يبدو أن تبديل اللوم على الدهر أضحى قسماً من المفردات التي نطق بها الأدباء على تعاقب الأزمان.

ويقول أيضاً:

أين الأمانى، وأين الشوق والأمل

وذكريات الهوى، بالوجد تشتعلُ؟

طبي الحمايا، صداها يرد هي فرحا

يشدو بأشجانتي الحرّى، فتعملُ

لقد طواها خضم الدهر معتسفا

يعدو بأمواجهها مدا ، فترتحل!(156)

155- الأعمال الشعرية الكاملة، ذكريات هاجعة، خالد زغبية، ص213.

156- المصدر نفسه، ص241.

كشفت هذه الأبيات ما يجيش في خواطر الشاعر من الشعور بالاغتراب الزماني لاسترجاع ذكرياته مع أحبته، وأصحابه ابتعدوا عنه، بعدما رحلوا ولم يعودوا إليه فوجد نفسه ضحية الاغتراب الزماني.

وهذا ما تدركه من الشاعر حسن صالح يشكو من اغتراب الزمن الذي جعل من عادة الزواج قائمة على التعالي الطبقي ووزن الرجال بما يملكون ، بغض النظر إلى مشاعر وعواطف الحبيبين يقول :

ويذكر في زمان قد تولى	صباها الغصّ ، ما أحلى صبها
وقد كانت كأزهار الروابي	تميس مع النسائم في نداها
وتنشر طيبها في كلّ صوب	إذا نور الصّباح غزا رباها
وقد كانت تبادله ودادا..	وتحبوه المحبّة إن أتاها
وتحزن إن ألمّ به مصاب	ولا تهوى الطّعام ولا المياه
ويوم يغيب عنها ، لاتراه	تظّل كأن خطبا قد دهاها(157)

فإذا أراد الشباب أن يضع نهاية سعيدة وطبيعة لحيه بالزواج بمن أحب ، لا يجد إلاّ الرفض والصد من قبل أهلها يقول :

فجاء إلى أبيها ذات يوم	ليخبطها ، ويستعطف أباها
يقول له : لقد ملكت فؤادي	وأصبح طيفها عندي إلها
سأفد بها بما ملكت يميني	وأسعدها ، وأشقى في رضاها
فقال له أبوها : لا تغالي	ودع حبّ الفتاة إلى سواها
إذا رأَت القروود زهور ورد	تمنّت أن تنازعها شذاها
فلست لمثلها صهرا جديرا	فأنت أقلّ أحسابا وجاها

157 - ديوان بعد الحرب حسن صالح ، يعيش على الماضي ، ص 39 .

ولا مال لديك ، فلست أهلاً بأن يحني لك الناس الجباهها (158)

فعادة الزواج القائمة على وزن الرجال بما يملكون ، تعد عيباً من العيوب البارزة في المجتمعات العربية بصفة عامة ، وهذا ما جعل الشاعر يحس بالاغتراب في هذا الزمان ، الذي انتشرت فيه هذه الآفة وهي أفة الرفض والصد من قبل العائلة بحجة ليس بالجدير أن يصاهرهم ؛ لأنه ليس في مستواهم الاجتماعي ، أو قلة المال .

ولهذا تجد الكثير من الشعراء ينكرون تلك الأعراف والممارسات البالية، عن طريق بث سخطهم وانفعالاتهم على الدهر وعقباته.

الفصل الثالث

اللغة والصورة الشعرية في شعر خالد زغبية وحسن صالح

المبحث الأول - اللغة الشعرية مفهومها وعناصرها

المبحث الثاني - الصورة الشعرية مفهومها وعناصرها

المبحث الأول - اللغة الشعرية مفهومها وعناصرها :

قبل المرور إلى الجانب التطبيقي من عرض الموسوم اللغة الشعرية ، التعرف على مفهومها وعناصرها:

أولا - مفهوم اللغة الشعرية:

لغة الشعر أو اللغة الشعرية عند (جون كوين) هي: الانزياح عن لغة النثر حيث جعل لغة النثر عنده توصف بأنها لغة الصفر في الكتابة(159).

والانزياح عنها بعد دخولا في اللغة الشعرية التي تعني " كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قوالب مستهلكة(160)" ، وهكذا فالشعر يعد خروجاً عن اللغة العادية أو المعيارية، فهو يهدمها ليعيد بناءها من جديد، أي أن الشعر نشاط لغوي "ينهض على إعادة النظر في النظام اللغوي، والإمساك بما يتضمنه من قوانين توليدية تسمح بتمزيق ذلك النظام اللغوي المتعارف نفسه قصد خلق ذرى تعبيرية جديدة (161)".

فاللغة الشعرية هي تلك الشعرية التي تتفجر من تمرد الشعر ومشاكسته المؤلف من طبائعه واتكانه على تلك الخصائص المجرة التي تصنع فرادة العمل الأدبي(162).

أما (أدونيس) فقد تعرض للفرق بين اللغة الشعرية واللغة غير الشعرية من حيث الإشارة والإيضاح؛ فاللغة العادية واضحة لا تتجاوز المعنى المعجمي بينما اللغة الشعرية هي الخروج عن هذا المعنى الواضح والمعلوم إلى معانٍ أخرى لم تتعود الغوص فيها، وهذا في قوله : " إذا كان الشعر تجاوزاً للظواهر ، ومواجهة للحقيقة الباطنة في شيء ما أو في العالم كله، فإن

159 - ينظر: بناء لغة الشعر: جون كوين، تلاً: أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ص35.

160 - المرجع نفسه، ص24.

161 - في بنية الشعر العربي المعاصر، لمحمد لطفي اليوسفي، سراس للنشر، تونس، ط 1985م، ص24.

162 - قضايا الشعرية : رومان ياكبسون، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1988م، ص24.

على اللغة أن تحيد عن معت العادي، ذلك أن المعنى الذي تتخذه عادة لا يقود إلى رؤية أليفة مشتركة(163).

إن الشعر هي لغة الإشارة، في حين أن اللغة العادية هي لغة الإيضاح، فالشعر هي بمعنى ماء جعل اللغة تقول ما لم تتعلم أن تقوله(164)

ثانيا - عناصر اللغة الشعرية:

تعددت عناصر اللغة إلى عناصر عدة منها:

1 - المفردات:

تعد اللغة اسمى الاختراعات البشرية عامة وأكثرها مكانة في التاريخ الإنساني جله ، فهي التي ميزت الإنسان عن كل المخلوقات الحية، ومن الطبيعي أن تكون للغة فوائد وفيرة ومتعددة في حياة الناس نذكر أهمها :

هي أداة الإفصاح عما يجول في العقل البشري من أفكار وما يختزنه القلب من مشاعر، وهي جوهر الإلهام في كل الآداب الرفيعة اللفظية شعرا ونثرا.

هي وسيلة التواصل والمحادثة بين الناس. وهي التفسير الإشاري والرمزي للواقع الملموس.

- كما إنها متطلب أساسي لشخصية الإنسان وإدراكه بتميز ذاته.

- واللغة هي أداة الترابط بين الشرائح الاجتماعية، فهي تجسد معظم الذكريات عند الفرد والجماعة وقد تباين العلماء في تنظيم هذه الوظائف من حيث الأهمية، فتسلسل المهام يكون بالأساسية ثم الثانوية(165).

وتقوم هذه الدراسة على الاستخدام الأدبي للغة ؛ فالأدب يحصل على إبداعه بالانحراف عن اللغة العلمية ،وهي مجموع عملية بناء يفعلها الأديب، ويعد الشعر الاستعمال الأدبي

163 - مقدمة للشعر العربي، أدونيس، دار العودة بيروت، 1979م، ص125، 126.

164 - المرجع نفسه، ص 126.

165 - ينظر: اكتساب اللغة، مارك ريشيل، ترجمة كمال بلكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، كلية التربية، جامعة اللبنانية، بيروت، لبنان، ط1، سنة1404هـ، 1989م، ص1.

الأفضل للغة، لأنه مرتب ومنتظم في جل نسيجه الصوتي والايقاع والتناغم أهم الأسباب في بنائه(166).

والظاهرة الشعرية لغوية في لبها، ولا طريق إلى الوصول إليها، والاقتراب منها إلا من ناحية اللغة التي تتجسد في براعة البشر، وتستقيم بها طبيعة الشعر، واللغة ميدان يمارس الشعر فيه ، غير أن الشاعر كما يقول(مارتن هيدجر) : " لا يتلقى اللغة قط مادة يتصرف كأنها معطاة من قبل ، بل الشعر هو الذي يبدأ يجعل اللغة ممكنة، الشعر هو اللغة البدائية للشعوب والأقوام، وإذن خلافا لما قد يتوهم أنّ فهم ماهية اللغة من خلال ماهية الشعر، فلم توجد أمة بدون لغة شعرية، ولا توجد أمة على وجه الأرض يمكنها أن تتنازل عن تراثها وموروثها الأدبي والفني " (167).

ولعل استحسان النقاد المعاصرون بأفكار الغربيين في النقد ، متجاهلون إنّ هذه المعاني والمفاهيم فاق العرب إلى أغلبها، أو إلى ما هو خير منها، "فالشعراء أمراء الكلام، يصرّفونه أنّى شاءوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده، ومد المقصور، وقصر الممد ، والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته ، والأذهان عن فهمه وإيضاحه؛ فيقربون البعيد ، ويبعدون القريب ، ويحتج بهم ولا يحتاج عليهم ويصورون الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل(168)".

2 - محجم الألفاظ :

لا يُقصد بهذا المصطلح مجرد إحصاء الكلمات التي استخدمها كل مبدع في شعره، بل يشير إلى استنباط مجموعة من السمات النوعية المتعلقة بالمفردات والنحو داخل النص، وهو نتاج تفاعل اللغة مع الاستخدام ومع علم اللغة الاجتماعي. فأى تغيير في العلاقة بين المتحدث والمستمع ينعكس على مستوى اختيار الكلمات في الخطاب. لذلك، يتجه الكاتب إلى اختيار

166 -ينظر: النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن،تر: جابر عصفور، قصور الثقافة القاهرة،1966م،ص13.
167 -الفلسفة والشعر، مارتن هيدجر، ترجمة وتقديم: د.عثمان أمين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،سنة1963،ص31.
168 -منهج البلاغ وسراج الأدباء، أبو الحسن القرطاجني، حازم بن محمد بن حسن الأنصاري، تح:د.محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3،سنة1986م،ص143.

مفردات من بين البدائل المعجمية والأسلوبية التي تتناسب مع أفكاره وطبيعته علاقته بالقارئ وعلى رغم من أن هذه البدائل تشترك في جانب دلالي معين، فإن لكل منها ارتباطات معنوية خاصة قد تكون احتمالية أو اعتيادية ضمن سياق اتصالي منظم، يوضح ذلك أن الكاتب يهدف من خلال أسلوبه الخاص إلى توضيح أهدافه بشكل جلي وتحقيق غاياته بشكل مباشر.

وإذا كانت اللغة المكتوبة هي الطريقة الفريدة لتخاطب بين اثنين بينهما تباعد في الموضوع فالمبدع ينشئ من لغة النص ومحتوياته المضمونية أجزاء الأسلوب التي يعيها القارئ، وعلى جوهرها يستوعب النص، ويصير واجب عمل الناقد أن يعلن عن تلك المقدرة الإبداعية المستترة التي تفصح عنها اللغة المدونة، فالمعجم هو النظير الذي تنعكس عليه خصائص كل من حقل الخطاب وما هيته والعلاقة بين المتخاطبين(169).

وقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة عجز المعنى المعجمي، كما هو موثق في معاجم اللغة؛ لأن المعنى المعجمي نادرا يتم وضوحه على طراز سلبي، وإنما يفسر دائما بطريقة إيجابية ناجحة، ويتجلى هذا القصور ظاهرا إذا تدانينا المعنى الاجتماعي، أو الدلالي الذي يدل على تتبع الجملة، أو الحدث الكلامي وما يحاط به من مجريات، فتتنوع مفاهيمه بتعدد تأليفه واستخداماته(170).

ومن خلال قراءة شعر (خالد زغبية) يمكن تصنيف مفردات معجمه إلى ثلاث روافد هي (الحبيبة، والمجتمع، والعالم).

حيث تُمثل الحبيبة في شعره حالة فنية صريحة، ويتفاوت تعلق الشاعر بالمرأة ما بين السطحية والعبارة والعميقة، وفقا لطبيعة العلاقة، ومدى صلتها بالحياة الاجتماعية، فشعر الحب عنده يتراوح بين الغزل الحسي والغزل المعنوي، الذي يصور فيه الشاعر مشاعره وأحاسيسه العاطفية والوجدانية التي كانت ناتجة عن تجربته الشخصية، ليست من وحي الخيال أو عبثا فكريا، وهو يبين عدم قدرته على العيش بدون الحبيبة؛ لأنها هذه سنة الحياة،

169- ينظر: نظرية علم النص، رؤية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، سنة2009م، ص38، 39.

170- ينظر: منهاج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، سنة1407هـ، 1986م، ص258.

والمتعارف عليه منذ أن خُلقت البشرية، فجميع الكائنات الحية لها قرناء في حياة الدنيا والآخرة
قال :

ليس في الدنيا وحيد، هائم دون حبيب

فجميع الكائنات، بعضها يهفو لبعض

ما عدانا يا حبيبي ، هل تدانينا عجيب؟

ولماذا تتناوى حيث نشتناق لبعض (171)

أما المجتمع يعد الانتماء إلى المكان الذي يعيش فيه الشاعر، ومن المواضيع المهمة والبارزة في شعر (خالد زغبية)، والتي تلتزم ذاتها بشدة، فالانتساب إلى البيئة التي ينتمي إليها يقصد به علاقة وتلاحم الإنسان بمجتمعه بشكل ثابت ومستمر، ويكون هذا الترابط من خلال التأقلم والموافقة على كل ما يفرضه المجتمع من ضوابط وقوانين وأنظمة ، مع مراعاة احترام حقوق الفرد وحرية التعبير بدون قيود، وغيرها من الأمور التي تكون من أوليات سبل العيش في المجتمع، وتجعل من الإنسان يشعر بالرضى، فيراه أجمل بقاع الأرض، يقول:

أجول في شوارع المدينة القديمة

ألمح في أزقة، بيوتها

أبوابها، مغلقة أو مشرعة

قد عرش الياسمين في أضلاعها

يموج الأريج في أجوائها

وفي أقصائها المعلقة

قد غردت بلابل

أنشودة مفرحة وشيقة

171 -الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، فلسفة الحب ، ص246.

وحلق الحمام في ذرى أبراجه العتيقة

منشرا أجنحة ألوانها منمقة(172)

وفي الأبيات السابقة يصف مدينته بأجمل العبارات، من شوارعها، وبيوتها المتناثر حولها أزهار الياسمين، والأريج فغبقت المدينة بالرائحة الفواحة ، ولجمال المنظر أصبحت العصافير تغرد والحمام يحلق راقصا ناشرا راية الإبداع والسلام لهذه المدينة التي جعلها الشاعر وكأنها لوحة فنية ساحرة.

كما اهتم الشاعر (خالد زغبية) اهتماما كبيرا بكل شؤون الإنسان في هذا العالم الفسيح وبفضايا السلام العالمي، ومن هذه الدعاوي قنبلة (هيروشيما) فهي " أحد الموضوعات ذات البعد الإنساني التي تناولها بعض الشعراء ولم يكن ذلك لكونها حدثا تاريخيا طواه الزمن؛ لأنها كانت أكبر فاجعة تاريخية في حجمها ونوعها عرفت البشرية في تاريخها الحديث، ولأنها تمثل جبروت القوة ووحشته القوى الإمبريالية، ولأنها أيضا تنذر بالمخاطر التي يمكن أن تهدد حياة الإنسان، ووجوده على الأرض ما لم تضع الإنسانية حد الضراوة العق وغطرسة القوة(173)"، وقد أوصف الشاعر (خالد زغبية) فاجعة (هيروشيما)، التي غيرت المنظر الطبيعي الذي يخفق بالحياة المنهمر بالخضرة، والسخاء والمزدهرة بالنقاء والفرح والسرور ولا يمكث أن يتحول إلى أجيح وهلاك وفناء وأشلاء وفرع ورعب، حينما تتأرجح نوازع الشر، ولذة الدم في قلوب الماصين لدماء خصوم ووحوش الإنسان والحياة يقول:

وفي خريف موحش رهيب

تململ (مارس) في الغروب

وزغردت في دمه، أنشودة الفناء

172 -الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، أغنية إلى المدينة القديمة، ص439.
173 -الشعر الحديث في ليبيا دراسة في اتجاهاته وخصائصه، عوض محمد صالح، توزيع المنشأة المعارف الإسكندرية، جلال حزي وشركاء، 2002م، ص413.

فأطلق إشعاعه المميت في الفضاء

واندلع اللهب

يمتد للجبال ، والسهول

فصارت الحقول

كعصف مأكول(174)

أي عند إطلاق القوة الامبريالية قنبلته الذرية على اليابان تساقطت وتناثرت أشلاء الناس كما تسقط أوراق الأشجار في الخريف، وانتشرت النيران، فأحرقت، ودمرت كل شيء على الأرض ولشناعة المنظر استخدم الشاعر التناص من القرآن الكريم في البيت الثامن (كعصف مأكول) من سورة الفيل، أي أنهم تحولوا إلى شيء مهروم ومبدد ومفتت .

وإذا تتبعنا شعر (حسن صالح) نجد إنه قسم مفردات معجمه إلى مجالين اثنين، هما الطبيعة بصنفيها القرية والمدينة، أما المجال الآخر الإنسان بعنصريه المرأة والرجل.

ففي مسرد الشاعر (حسن صالح) عن القرية جاء بمجموعة من الكلمات المبنية على الحُسن الفطري والبيئة الخلابية، وجُلّ ما يرسل في الروح الهدوء والطمأنينة فالأرض تكسوها الخُضرة، والمروج الشاسعة، المكتظة بالأشجار والأعشاب وتعبق الجو برائحة الأزهار التي تنتشرها نسيمات الرياح الخفيفة في ربوع القرية، يقول (حسن صالح) :

إن تمشى الربيع والدَّفء في الأغصان

والدَّوح ، وَالْحقول البعيدة

وَأَتَاكَ النَّسيم يحمل أنفاس الأزاهير

وَالورود الوليدة (175)

174 -الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، أزادكو ، ص199.
175 -ديوان أغنية العاشق، حسن صالح، اذكريني، ص41.

أما عن المدينة فالشاعر عادة ما يقارن بينها وبين القرية، وتكون الصورة مختلفة تماماً، لأن الريف تسوده السكينة والبراءة ، ولهذا تتوق إليه النفوس ، على عكس المدينة التي يعمها الضجيج وازدحام الناس ، وشوارعها الضيقة ، ومبانيها المرصوفة التي حجبت الطبيعة، فكتشف إن الاستمتاع والراحة فيها محضى طيف وخيال ، مما زاد من تكدره وحزنه ، ويصل شجنه إلى ذروته في خلوة الليل حيث الظلمة والوحدة ، كلما تذكر حياته في الريف، يقول:

الدرب تَضِيعُ مَعَالِمَهُ فِي اللَّيْلِ الْمَسْعُورِ الضَّارِي

لَا شَيْءَ سِوَى رَعْدِ أَجْوَفٍ فِي الْأَفْقِ وَنوح

الاعصارِ

وَرِذَاذُ تَبْذُرِهِ الرِّيحُ فِي الْأَرْضِ كَوَادِبِ أَمْطَارِ

وَأَسِيرِي يَعْدُبْنِي ، يَغْصَفُ بِي شَوْقُ الْمَجْرَى

لِلْأَنْهَارِ

وَالْحَانَةُ خَلْفِي غَانِيَةً تَسْبِحُ فِي بَحْرِ الْأَنْوَارِ

فَكَأَنِّي أَسْمَعُ وَقَعَ خُطَى الْأَصْبَاحِ ، وَشَدُو الْأَطْيَارِ (176)

وفيما يتعلق بالمرأة، نرى أيضا معجم الشاعر يخص المرأة في محورين متناقضين هما :
— غدر وخيانة المرأة لحبيبها : فوصفها الشاعر بالكفر والجحود والإنكار، لسلبها جلاب العفة ، ولبست مكانه ثوب العُهر، ودنست ذكرياته الطاهرة بالمجون والمغريات، فبث همه علانا ، لتحطيمها فؤاده، وقطعت الترابط بينهم ، وانصرفت تنشد غيره بامتهان مما جعله يغرق في بحر الهموم والأحزان قال :

وَحَلَّتْ كَأَنِّي هُنَاكَ أَنَاجِيكَ كَالْأَمْسِ فِي رِقَّةِ حَانِيهِ

176 -المرجع نفسه، ص110.

وَأَتْلُو عَلَى مَسْمَعِيكَ وَوَلَائِي، وَأُلْقِي إِلَيْكَ بِأَشْعَارِيهِ
وَأَدْفِن فِي شَفْتَيْكَ انْفَعَالِي ، وَأَنْسَى وَجُودِي ، وَإِحْسَاسِهِ
فَهَلْ سَوْفَ تَبْكِينَ مِنْ أَجْلِنَا وَمِنْ أَجْلِ أَيَّامِنَا الْعَارِيَةِ ؟
وَتَبْكِينَ مِنْ وَحْشَةِ عَذِّبَتِكَ طَوِيلًا بِسُورَتِهَا الْعَاعِيَةِ (177)

— حاجة المرأة للحياة والإخلاص للحبيب: فهي أنشودة توجد في النفوس، وجميلة ذات تغنج ولوم ، شعرها المتموج المنساب، وصوتها الرقيق، كبيرة العينين وطويلة الأهداب، طيفها الرشيق يتمايل كنجمة في عتمة الليل، قلبها يملئه الحب الطاهر، ذو أخلاق فضيلة ، يقول :

يَا مَنْ تَطَلَّ عَلَيَّ مِنْ عَلِيَا النَوَافِدِ، يَا جَمِيلَهُ
بِقَوَامِهَا الْمَمْشُوقِ ، تَخْطُرُ فَوْقَ شُرْفَتِهَا الظَّلِيلَةِ
تَرْتُو إِلَيَّ ، وَلَمْ تَكُنْ يَوْمًا بِبِسْمَتِهَا بِخِيلَهُ
يَا لِلْعَيُونِ النَجْلِ ، مَاذَا خَلْفَ نَظَرَتِهَا الطَّوِيلَهُ ؟
مَاذَا بِقَلْبِكَ ؟ إِنَّهُ نَبْعُ الطَّهَارَةِ، وَالْفَضِيلَةُ
قَلْبٌ صَغِيرٌ لَمْ يَذُقْ وَهْجَ الْغَرَامِ ، وَلَا ذُبُولَهُ
كَأَلَّا ، وَلَا عَرَفَ الْحَيَاةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا الْجَلِيلَةَ
إِنِّي بِحُبِّكَ هَانِمٌ ، وَالْحُبُّ مِنْ شِيمِ الرَّجُولَةِ
وَأَنَا امْرِيٌّ أَهْوَى جَمَالَ الْجِسْمِ، وَالْعَيْنَ الْكَحِيلَةَ (178)

أما معجم الشاعر (حسن صالح) فيما يخص الرجل تجد اتجاهين مختلفين، أوله خليل الشباب وأنيس الطفولة، والمساهم في أدق التفاصيل في حياته من فرح وحزن، ووضع إن المرء بفطرته يحتاج إلى الشغف والحنان والأنس ، وإلى من يشاركه في همومه وأفكاره، يقول:

177 -ديوان بعد الحرب، حسن صالح، إلى امرأة، ص16.
178 - ديوان بعد الحرب ، نافذة وقلب، ص24.

هَنَالِكِ قَضِيَتْ فَجْرَ الشَّبَابِ سَعِيدًا بِرِفْقَةٍ أَثْرَابِيَهُ
هَنَالِكِ عَانَقَتْ طَيْفَ الْجَمَالِ وَسَطَّرَتْ أَوَّلَ الْأَحَانِيَهُ
فَلَمْ أَلْقَ فِي الْكَوْنِ قَلْبًا سِوَاكَ يَصِيخُ لَشَدْوَى وَأَنْغَامِيَهُ
أَبْثُكَ أَحْزَانَ قَلْبِي الْعَمِيدِ وَالْأَمَامِ نَفْسِي وَأَمَالِيَهُ (179)

وثانيه: الرجل المحتال المخادع والمنافق، الذي يريد كل شيء وقعت عليه عيناه ليصبح ملكه، ويحرم الآخرين من حقوقهم ، فيكرهه الناس ويتعدون عنه، ويبقى وحيدا منبوذا ففرضت عليه سلطة الانعزال لتصرفاته، يقول:

قالوا قضي، كلب قضي ، فعلام يغشاك الوجوم ؟

قد عاش كلب في الحياة ، ومات كاكلب اللئيم

فدع التأسف لا تكن عبد العواطف والحسوم

الموت كلب اجر ب قدر تجيش بك الهموم

قد حاد عن درب الصلاح، عن الصراط المستقيم

كم ليلة قد بات في الحانات شيطاننا رجيم

يعوى كما تعوى الكلاب ويحتسى كوب السموم (180)

3 - التراكيب :

كثرت وجهات النظر، وتعددت الأساليب والمذاهب، وزاد الحديث عن التباين بين سمات الأساليب المختلفة، واشتهر تصنيفها إلى صنفين الأساليب الأدبية، والأساليب العلمية، غير أن الجميع متفق إن للشعر لغة خاصة تختلف عن لغة الكتابة العلمية والفنون الأدبية الأخرى،

179 - مصدر نفسه، الجاحدة، ص36.

180 - ديوان بعد الحرب، حسن صالح، كلب الموت، ص32.

ومن الواجب إضاءة الحدود الفاصلة بين اللغة الأدبية والعلمية والعامية، إذ أن مجرد التناقض بين التأمل والاضطراب أو التأثير العاطفي ليس مناسباً لتفريق بين هذه الأصناف (181).

فاللغة العلمية إبحائية تنقل الواقع وتثبت الرأي والفكرة، ومثلها الأعلى اللغة العالمية، بينما اللغة الأدبية، تعترض على أن تكون لغة دلالية ببساطة، بل لها شق تعبيرى وصفي؛ لأنها تنقل لكنة، ولغة المتحدث ووجهة نظره، فتفيض بالصور المجازية، والفنية والجناس والتضمينات والإيحاء، وجل أقسام الصنعة لتجذب رؤية إليها، بحيث لا ينحصر التعبير على إيضاح الفكرة في عقل المتلقي، بل تتخطى إلى التأثير في القلب، وتركز على المنزلة الصوتية في الوزن والقافية والسجع والتكرار.. (182)

فالمفردات والتراكيب والأسلوب لا يقصد به وجود انفصال، بينما فالواقع والصحيح أن المفردات والتراكيب جزء من مفهوم الأسلوب.

وقد تبين فيما سبق الجانب المعجمي و جانب الألفاظ، وفيما يأتي أهم العناصر التركيبية:

1- التقديم والتأخير

2- التكرار

- التقديم والتأخير :

يعتمد على أساس افتراضي، ينقاد لطبيعة اللغة، وأسلوبها المعتاد في تنظيم أقسام الجملة، والعلماء يعتقدون أصلاً في التركيب يقدر إليه العدول بحسابات خاصة، فقد يتقدم جزء من الكلام أو يتأخر، كتقدم المبتدأ على الخبر، والفعل على الفاعل "قمن وضع الألفاظ موضعها أن لا يكون في الكلام تقديم وتأخير حتى يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعرابه في بعض المواضع أو سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله في لغة العرب كالصلة والموصول، وما

181- ينظر: نظريات نقدية وتطبيقها، أحمد رحمانى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2004م.

182- ينظر: نظرية الأدب، رينيه ويليك وأوستن وارين، ترجمة محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات، النشر، بيروت، ط1، سنة 1987، ص22.

أشبههما(183)"، وقد أوضحت كتب البلاغة أشكال التقديم والتأخير مكانة في حديث العرب وخطاباتهم ومن هذه الميزات :

- 1- إنّه ميزة واضحة في أقوال العرب ، يشهد لهم بالفصاحة، وأفعالهم فيه على حسب ما ينتقونه ويقررونه، والطاعة لهم ، فهو سمة على علو التفكير اللغوي عند العرب.
- 2-إنّه مدخل عديد المنافع، جميل الموضع ، وفي أكثر الأحيان يؤدي إلى تكثير في المعنى.
- 3-إنه مدخل لتعدد المناقع ، جميل الموضع، وفي أكثر الأحيان يؤدي إلى تكثير في المعنى من غير أن يزداد في اللفظ.(184)

والتقديم ظاهرة جوهرية في التعبير الأدبي، لما يؤديه من وظائف دلالية مهمة فتجد في شعر (خالد زغبية) العديد من الأبيات التي حدث فيها تقديم، مثل قوله:

في موطني يعلو

وكالشبح المخيف

يغتال في أغوارنا صوت الحياة(185)

إنّ هذه القصيدة مبتدئة بشبه الجملة، ففي البيت الأول (في موطني يعلو) تقدم الجار والمجرور على الفعل، وهذا يوضح قسوة القمع الذي تمارسه أداة الحكم من سلب الحقوق ، وطمس حرية التعبير، والسيطرة على مقدرات الشعب ، وتوجيه الحياة فيه بما يتناسب مع رؤيتها الخاصة، ومع ما يؤكد دوامها وثباتها، وقد شبه الحكومة الفاسدة بالوحش المرعب، الذي يقتل في نفوسنا الأمل للعيش بحرية وكرامة وسلام.

183 -سر الفصاحة، الأمير أبو محمد ابن سنان، عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي، تح: على فودة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط،1994م،ص103.

184 -ينظر: الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكواز، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،1426هـ 2006م،ج1،ص308.

185 -الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، السور الكبير ، ص99.

أما شعر(حسن صالح) فالكثير من الأبيات يظهر فيها التقديم مثل قوله :

فَأَلِي مَتَى سَتَظَلُّ فِي أَرْضِ الْمَنِيهِ وَالْمَجَازِرُ؟

فِي خَنْدَقِ رَطْبٍ مَعَ الرَّفَقَاءِ طُولَ اللَّيْلِ سَاهِرٍ

عَيْنَاكَ أَرْقَاهَا السَّهَادُ، وَلَا طَعَامُ، وَلَا سَجَائِرُ

عَدَا حَبِيبِي إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ لَوْ أَنَّ غَادِرَ (186)

إن شبه الجملة في البيت الأول والثاني (في أرض المنية، وفي خندق، تقدا على كلمة (ساهر) وهي مفعول لفعل (ستظل) ، وهذا التقديم يحرك في النفس الشعور بالأخطار التي تحيط بالمناضل من البطش وإزهاق الروح، والقدر والموت ، الذي يترصده من مختلف الجوانب، والغريم الذي يترقبه في وقت مشحون بالإجهاد والمصاعب، في حُفْرٍ تحت الأرض، حيث الهواء النتن، والجو الرطب المندى، وينحصر الخناق بأنفاس الأصحاب المتراصين جوف الخندق؛ احترسا من هجوم العدو عليهم، أو غارات طيارتهم، أو اقتحام من مقاتليهم، لهذا لازم الحيلة والحذر مع السهّد لتأدية

المهام المفروضة للحفاظ والدفاع عن الوطن، مُنزعا رغبات النفس ولذاتها ومتطلبات البدن، لا راحة ولا طعام ، ولا سبات ، ولا غفوة، ولا تبغ ملفوف.

- التكرار:

وهو ظاهرة أسلوبية في خطاب الشعر عند العرب ولذلك "يعنون به أية عبارة تتكرر في القصيدة لأغراض بلاغية ، أو لأن تكرارها يخدم وظيفة موسيقية معينة وهو أساس الإيقاع بجميع صورته، وسر نجاح الكثير من المحسنات البديعية كما في التوكيد اللفظي، والجناس التام ، والجمع مع التفريق ، وردّ العجز على الصدر والعكس..(187)" ، وقد يأتي التكرار

186 -ديوان أغنية العاشق، حسن صالح، رسالة من امرأة تحب، ص37.
187 معجم مصطلحات الأدب مرجع سابق، ص473.

بالأسماء المستترة أو غير الواضحة يكون واضحاً وصريحاً(188)، في الكلمات والجمل والحروف أيضاً أي إنّ " الحرف الوارد في النص يدعو نظيره في النقم والرسم(189)".

والتكّرار يلعب دوراً مهماً في الأغراض البلاغية المختلفة، وغالباً ما يظهر بشكل ملحوظ في شعر الغزل، فالمحب يجد سعادته وبهجته في سماع اسم محبوبته مراراً ويعيد كلماتها تعبيراً عن شوقه وحنينه، وتتميز النظرة العربية تجاه الفن بالكثير من المودة والألفة، كما يظهر ذلك جلياً في قصائد العرب، التي تعكس طبيعة تلك المواقف بعناية، حيث تعمل الكلمات فيها على مزج الواقع بالرؤية الشعرية مستحضرة الأحداث والذكريات، ومحاكاة السعادة من خلال استدعائها، بما يعكس تجاوب المحب مع ألفاظ الحبيب ومشاعره(190).

وهو يعد أكثر الظواهر الفنية وجوداً في شعر (خالد زغبية) فلا يكاد تخلو قصيده منه مثل قوله:

يا جيشنا الليبي ... يا أمل الذين تحيروا عبر الدروب

يا ثار موتانا الذين تمزقوا فوق الأسنة والحراب

يا ثار من طحتهم الحرب الضروس

وتناثرت أشلاؤهم عبر الفيافي والسهوب

يا جيشنا الليبي ... يا أمل القلوب

يا رافد الشعب الحبيب

يا جيشنا الليبي ... يا طوق النجاة

يا قارب الإنقاذ في ليل الغريق(191)

188- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الأصبع المعري، ص376.
189 - ظاهرة تداعي الحروف في النص العربي الأدبي، عبد الإله الصانع، مجلة الفصول الأربعة، العدد83، 1998م، ص21.
190 - ينظر: المرجع نفسه، ص21.
191 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، أغنية إلى جيشنا الليبي، ص253.

إن تكرار حرف النداء (يا) في أغلبية الأبيات الشعرية (يا جيشنا ، يا أمل، ياثأر يارافد، يا طوق) تأكيد على أن الجيش الليبي هو طوق النجاة، ومن هذا العدو الفاسد إلى جانب تكرار كلمة (ثأر) في البيت الثاني والثالث، دليلاً على إصرارهم بأخذ القصاص فيمن قتل أبناء الشعب وجعل من جثثهم أشلاء منتشرة ومتعثرة في ساحات الحروب والوغي، و تكرار جملة (يا جيشنا الليبي) في البيت الأول والخامس والسابع دلالة على أنّ أملهم الوحيد للخلاص من هذا الاستعمار العاشم، الذي أغرق الوطن في بحر من الدم والظلم والعذاب والموت.

وكذلك نجد التكرار مثبت حضوره في شعر حسن صالح مثل قوله :

وماتت الصغيرة السمراء

وأما صاحبة مع النساء

"معيثقا ..معيثقا

وأهف كبدي الحري

عليك يا صغيرتي، والهف كبدي

الحري (192)

فتكرار كلمة في البيت الثالث(معيثقا)، وتكرار جملة (وأهف كبدي الحري)، في البيت الرابع والخامس وتوكيدا على شدة حزن والدة (معيثقة) على فراقها، وهي لاتزال طفلة

192 -ديوان أغنية عاشق، حسن صالح، حكاية معيثة، ص86.

صغيرة كانت تحلم بمستقبل زاهر، غير أن الموت قد سرق منها طفولتها، لسيطرة العدو الفاشي على الوطن ، ولذى سلب من الشعب كل مقدراتهم وحقوقهم، حتى من أبسط الأشياء ، وجعلهم عبيد يخدمون مصالحهم.

- الأساليب:

الشعر عمل أدبي إبداعي رائع يتسم بأسلوب مرموق ومثير للعواطف، وقد اتفق الأدباء على إطلاق مصطلح الأسلوبية وهو خاص بالأسلوب الأدبي " ومن المعلوم أن الأسلوبية هي الشكل الذي يقابل المضمون، وأنهما ركننا الأدب فلا يصح الفصل بينهما ولا يطغى أحدهما على الآخر، إذ طغى الشكل على المضمون تحول الأسلوب إلى أدب لفظي ميت لا معنى له ولا روح فيه(193)"; لأنّ جوهر الأسلوب ولبه ما يتكون به الخاطر من عوامل، فهو مجموعة الألوان التي يصطبغ بها الخطاب ليبلغ من خلالها لإرضاء المتلقي وأفراحه وجذب تركيزه واهتمامه وإلهاب خياله(194).

ومن أهم الأساليب الشعرية في شعر (خالد زغبية و حسن صالح) الأنواع الآتية:

2- الخبر والإنشاء (الاستفهام – التعجب)

2- الإضمار والإظهار

-الخبر والإنشاء :

الخبر هو "ما احتتمل الصدق أو الكذب لذاته(195)" ، أما الإنشاء فهو "الكلام الذي لا يحتتمل الصدق أو الكذب(196)".

وأهم ما يفرق الخبر عن الإنشاء أن الخبر أداء فردي، بمعنى هو حديث يطرحه إنسان ما إلى إنسان آخر، أي السامع الذي يتلقى القول من غير أن يكون له مساهمة، أو أن يكون له

193 -الأسلوب والأسلوبية، محمد رمضان الجربي، منشورات، ELGA، 2002م، ص11.

194 - ينظر: الأسلوب والأسلوبية، ص14.

195 - الأيضاح في علوم البلاغة، لأبي المعالي جلال الدين الخطيب القزويني، تعليق: محمد عبدالمعنى خفاجي، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط3،

1971م، ص24.

196 - المرجع نفسه، ص 24.

حضور في الوضع القائم عند المتحدث، أما الإنشاء فهو تبادل الكلام ومخالطة، أو هو دعا مشاركة من الغير وإثبات كينونته فعليا في واقع المتحدث(197).

ويقول الشاعر خالد زغبية:

قسما بصرخة جائعا

رث الثياب

حافي القدم

قسما بآمال الصغار

أن لست إلا أحرفا بكلامكم ذاك الحبيب

أن لست إلا نعمة بغنائكم ذاك الطروب(198)

أخبر الشاعر في هذه الأسطر من الأبيات الشعرية ، إن الفجر آتٍ لا محال فكانت هذه الكلمات مؤشرات أولية للثورة، و استخدم الأسلوب الخبري تعبيراً عن شدة الغليان الشعبي ، و إحساسهم بالقلق والخوف من هول الاستعمار، فأضفى هذا الأسلوب نبرة صدق لبزوغ فجر التحرر .

و اما الشاعر (حسن صالح) فجاء بالاسلوب الخبري في قصيدته أغنية محارب قديم:

حملنا البنادق في أمسنا وفاضت بنا الأرض و الأنجد

وسال الدماء على أرضنا وجود بها الشيخ والأمرد(199)

جاء الشاعر (حسن صالح) في الأبيات السابقة بأسلوب خبري يفيد أن الجهاد بالأمس لم يكن عبثاً ، وإنما خاضه الأباء والأجداد من أجل غدا ساطع ونير، وينعم فيه الشعب بحياة كريمة بلا استبداد وظلم ولا طغيان يتحكمون فيهم.

197 -ينظر: الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، د. عيسى علي الكاعوب، على سعد الشتوي، المنشورات الجامعة المفتوحة طرابلس، ط1، 1993م، ص247.

198 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، أغنية إلى الكتاب والأدباء الليبيين، ص74.

199 - ديوان أغنية العاشق، أغنية محارب قديم، ص62.

وأما الأسلوب الإنشائي فجاء به الشاعر في قصائد عدة ،يقول الشاعر (خالد زغبية) :

لكن ما جدوى الأشعار؟

ما جدوى أن نوقد ناراً؟.

والليل الحالك يجثم فوق الأنوار

ما جدوى أن نصمد في وجه الإعصار

والريح تولول ..

تصفح أوجهنا .. تلطم أيدينا

ما جدوى أن نبكي ..

أن نشكو .. ونذوب أنينا ؟ ! (200)

استخدم الشاعر في هذه الأبيات السابقة بأسلوب استفهامي وظفه في البيت الأول والثاني والثامن ، فالغرض من الاستفهام التعجب ، حيث خرج الاستفهام عن معناه الأصلي ألا وهو السؤال عن الشيء ، أما في الأبيات السابقة فغرضه إفصاحي يدل عن انفعال الشاعر من كثرة الألم والتحصير، وما آل إليه الاستعمار من التمييز العنصري في المجتمع الليبي، وتفاوت الطبقات الاجتماعية من فقر ولون البشرة، حتى ولو كان أصحاب الطبقة المظلومة أصحاب علم وثقافة، فالسائد في المجتمع غلبة الفئة المسيطرة التي تشجع وتناصر على العنصرية ، رغم جهود وتعثر وتخبط الفئة المظلومة وشكواهم ضد هذه العادات البالية، ووقوفهم أمام التيار المتخلف، لم يحققوا أدنى فرصة للقضاء على هذه التفرقة العنصرية، ويقول أيضا:

تلك الجهود ، لقد راودتها جذلا

وراودتني زماناً ، والهوى خضل !!

200 - الأعمال الشعرية الكاملة ، أغنية إلى مارتن لوثر كنج ، ص285.

قد شع منها شذى ما انفك مزدهيا

يداعب القلب حيناً، والجوى ثملُ !!

كم خالجتني رؤاها في مدى عمري

تنهال في خلدي بوها ، وترتسلُ !

والشوق يجمع بي في كل خاطرة

يهفو حنيناً إلى الذكرى ، ويبتهلُ!

يرتاد أطرافها في كل آونة

نشوى يرف على آفاقها ، زحلُ ! (201)

يتعجب الشاعر في الأبيات السابقة بتذكر تلك الوعود التي خطرت عليه، والتي وعد بها في الماضي، فمتليء قلبه فرحاً وسرواً، وأحس كأنه يشم رائحة عطرها الطيب الفواح الذي كان قديماً يغازل فواده، فشعر بنشوة وغبطة، وزاد شوقاً وحنيناً لذكرها، وبتذكر صورتها في كل وقت وحين، تضاعف خفقان قلبه لبعدها عنه .

أما الأسلوب الإنشائي عند الشاعر (حسن صالح) فيقول:

كَيْفَ الْوُصُولِ يَا حَبِيبَتِي إِلَيْكَ ؟

كَيْفَ الْوُصُولِ يَا حَبِيبَتِي إِلَيْكَ ؟

وَبَيْنَا أَنْهَارِ دَمٍ

وَبَيْنَا بَرَائِكِينَ ، وَبَيْنَا حَمَمٍ

وَأَلْفَ أَلْفِ جَمِجِمَةٍ

تحيا على الوهم إذا قتلها السأم (202)

201 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، مواكب الذكريات ، ص422.
202 - ديوان أغنية العاشق، حسن صالح، أغنية العاشق، ص89.

استهل الشاعر قصيدته بالاستفهام؛ لأنه لا يعرف كيف سيصل إلى محبوبته، بل إنَّ السبيل للوصول إلى قلبها معدوم فاستخدم ألفاظ تدل على التشاؤم (دم ، براكين حمم جماجم ، وهم، قتل، سأم)، كل هذه الألفاظ تدل على التعاسة والابتعاد، وتبين أن من المستحيل اللقاء معها وكسب فؤادها، والفوز بحبها، فكل هذه العراويل قادرة على أن تجعلهم يعيدون عن بعضهم . ويقول أيضا:

فتناولت أعناقهم ومضوا

يتراقصون على ربي المد

ما أروع الإنسان في سعيه

من أجل عيش باسم رعد(203)

يتعجب الشاعر من الناس الذين يتكبرون ، ويتباهون بأنفسهم، وبحصولهم على كل شيء بدون تعب، ويتعاضم تعجر فهم، ويزداد طربهم وقلة أدبهم، ويوعظهم ويخبرهم بأن السعادة الحقيقية تكون بالسعي والتعب من أجل أن يحيا حياة ، ويملؤها الهدوء والرخاء.

- الإظهار والإضمار:

الإظهار هو "ذكر الاسم صراحة، والإضمار استخدام الضمير، والسياق هو الذي يرسم صورة لكيفية تأليف الكلام، وانتقاء ما يلائم المعنى من أشكال التركيب (204)"
ويصرح الشاعر (خالد زغبية) بتوجيه الخطاب والحوار إلى حبيبته قائلا :

حبيبتي ، أتذكرين؟

فراقنا المعذب الحزين

إذ نحن في الهوى مشردان

203 - ديوان أغنية العاشق، حسن صالح، الراحلون مع المد، ص66.
204 - المرجع السابق، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقران الكريم، ص308.

تفصل فيما بيننا الفياقي والقفار

أتذكرين ليلة من الليال ؟

إذ كنت في زنزانتى موجج الحنين

مورقاً، حزين (205)

يخاطب الشاعر محبوبته بأنه يعيش أقسى أنواع العذاب والحزن، لبعده عنها ومطالبها منها بتذكر ليلة من الليالي الجميلة التي قضاها معها ، ويعلمها بأنه في السجن متعب ومشتعل شوقاً للقيها، والإظهار في الأبيات السابقة تمثل في ذكر محبوبته باستعمال الضمير والتصريح بمحبوبته، بينما في قصيدة (علبتها الخضراء) لم يستخدم إلا الضمير يقول:

علبتها الخضراء

يا علبتها التي تعبق بالعطور

تبوح بالأشواق والحنين والعبير

أرى لها لونا ... كثوبها المهفهف الحرير (206)

يوجه الشاعر كلامه إلى قنينة العطر التي تملكها محبوبته، ويقل لها أن تخبر صاحبها بأنه مشتاق إليها ويحن إلى اللقاء معها ، وأن كل شيء جميل يراه يذكره بها .

أما الشاعر (حسن صالح) فقد تحدث إلى معشوقته قائلاً :

حبيبتي ، لأنني أهواك

هل تسمحين

بأن أخط كلمتي عتاب ؟

فأنتِ يا حبيبتي لم تبعثي خطاب

205 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، اغنيتان الحب، الحب الوليد، ص124.
206 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، علبتها الخضراء، ص39.

مَنْ أَمَدٍ بَعِيدٍ (207)

يصرح الشاعر على معاتبة محبوبته التي لم ترسل له أجوبة منذ فترة طويلة من الزمن ؛ فهو يرى أن العتاب على قدر المحبة لها .

و يقول أيضا :

وقفت تحدق في الفضاء الرَّحْب والأفق المديد

سمراء تخطر كالمنى في مهجة التعس الشريد

ورمت بنظرتها حجاب الأمس ذي العهد السعيد (208)

كل الأبيات يستعمل فيها الشاعر الضمير حاكيا ومتحدثا ، ولم يعلن فيها اسما للمرأة التي يحاورها أو يسرد قصتها ، وكأنه شاء أن يذهب خيال القارئ إلى كل امرأة تتحلى بهذه الصفات، فيتمتع بالتغيير والتنوع ، أو كأنه يثبت ركائز عامة وأصول ثابتة تتسم بالتكرار، ولها قوة الأحداث الكونية.

المبحث الثاني - الصورة الشعرية عند خالد زغبية وحسن صالح:

توطئة:

إذا كانت لغة الكلام بين البشر أو لغة المحادثة اليومية تتطلب وجود عاملين مهمين هما: الوضوح والمطابقة، فإن لغة الأدب تستدعي وجود مكون ثالث هو الجمال (209)، فعامل الجمال هو ما يعرف في النقد الأدبي بتصوير الكلمة؛ لأنّ " الشاعر كشاف يرود آفاق النفس ويغوص في داخله لينتشل عواطفه ، لأن قوة الشعر تتجلى في الصور التي تملك من الإمكانيات الفنية والقيم الجمالية ما يمكنها من التعبير عن التجربة الشعورية، ودقائقها والإيحاء بخلالها، والتصوير الفني هو الحياة التي تسري في عروق الشعر (210)"

207 -ديوان أغنية العاشق، حسن صالح، إلى حبيبة نائية، عتاب، ص31.

208 -ديوان بعد الحرب، حسن صالح، القلب الضائع، ص21.

209 -ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسن ،دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1412هـ، 1992م، ص60.

210 -التصوير الشعري التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعرية، عدنان حسين قاسم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1980م، ص11.

فالصورة هي الملاذ المنفرد للشاعر عندما تختنق عليه ظروفه النفسية؛ لأنه قادر على أن يدمج بين الحقيقة والرؤية، وبين الخاطرة والصورة، من غير أن يسهى على ذكر الواقع الذي لا مستحيل منه، "فالشاعر على صلة بالحقائق النفسية والكونية التي تلهمه في تجربته، ولكل تجربة شعرية عناصر مختلفة من فكرة وخيال، وعاطفة، وهذه العناصر ذاتها كل عنصر على حدة لا يتألف منها شعر إذ إنها حالة نثرية في طبيعتها، ولكن الشاعر يختار منها مواد تصويرية إذ يستعين بها على جلاء صورة تتوافر لها قوة الإيحاء والتعبير بحيث لا يقوى النثر على أدائها(211)" بما إنّ التجربة هي أساس الإبداع الشعري فإن الطريقة الضرورية لتحول تلك التجربة هي الصورة .

إن التجربة الشعرية معظمها خبرات جسيمة ذات أقسام، وهي بدورها صور تفصيلية، وركيزة هذه الصورة في واقع الوضع، وهي الأوهام المؤدية إلى مجموعات ظاهرية تحفر حواسنا باستمرار، وتوحي للنشوة والروعة في داخلنا وهذا المؤلف لأنها وسيلة النقل والإلهام والخيار للإفصاح الصريح الغير مقبول أو للتعبير الذي يتقن استثمار سجية اللغة المجازية (212).

وفي البدء يجب تعريف الصورة الشعرية، ومعرفة خصائصها وأقسامها، ومن ثم نتعرف عليها في شعر الشعارين.

- مفهوم الصور الشعرية :

من الصعب وجود تعريف واضح وصريح للصورة الشعرية، ونظرا لاختلاف الكتاب والباحثين لتحديد مفهوم واحد لصورة الشعرية، ولأنها ظهور نشيط وغير متوقع على ظهر النفس " وإلى الآن لا يعرف سبب هذا البروز المفاجئ، ولم تدرس الأسباب الثانوية النفسية له دراسة وافية، كما إننا لا نستطيع أن نقيم مبادئ عامة ومترابطة كأساس لفلسفة الشعر؛ إذ أنّ وضع مبدأ وأساس كهذا لن يكون في صالح الفن الشعري، بل سوف يكون أمرا مدمرا(213)"

211 -النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سنة 1973م، ص384.

212 - ينظر: الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر، عدنان قاسم، طرابلس، ليبيا، 1980م، ص248.

213 -جماليات المكان، غاستون، ياشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1987م، ص17.

وبالرغم من تعدد الآراء إلا أنّ بينها عوامل متعددة ومشاركة ، وقد جمع (عبد الإله الصائغ) مفهوم الصورة الفنية عند خمسة وخمسين ناقداً عربياً(214)، كما أظهر أوجه التشابه والاختلاف بينهما ، فهو يرى بأنها تكوين لغوي لتجسيد مفهوم ذهني وحسي متصور لارتباط بين شيئين يتيسر رسمها بطرق كثيرة، إما عن سبيل المشابهة ، أو التجسيد ، أو التشخيص، أو التجريد، أو التراسل.

إن " الصورة تعني أصلاً التجسيم... واتسع معناها في النقد الحديث وتحدّد في الوقت نفسه، اتسع لأن استخدامها لا يقتصر على ما تراه العين، بل امتد إلى كل ما يؤثر في أي من حواسنا، أو في مجموعة منها، لأنّ قل لي إحساس ينجم عنه تصور معين، وتحدد لأنه -على الأقل- فيما يتصل بشكل الصورة يشمل الانطباعات الحسية تجيء وليدة التشبيه وبقية الصور البلاغية، مهما كانت الحاسة التي تتجه إليها ويستبعد الوصف المباشر حتى ولو كان حسياً"(215)ومن هذا أصبحت الصورة تنتفع من جميع الحواس في النظرة الحديثة، أما قديماً كانت الصورة تميل إلى حاسة البصر خاصة، وتركت حاسة السمع مركزاً على الموسيقى واللغة، فكأنما الشعر في مفهومه القديم تحصره حاسة السمع والبصر فقط، لكنّ الابتكار الحديث نفع من جميع الحواس، فشاهدنا تبادل في الحواس وتعدد في المصادر الصورة ووسائلها

وبين عبد الإله الصائغ أقسامها فيما يأتي:

- 1- الصورة الواحدة السهلة الواضحة .
- 2- الصورة المعقدة الغامضة.
- 3 الصورة العمومية لعضوية القصيدة.
- 4- وحدة الصورة وتربطها لمجموعة من الصور.

214 -ينظر: الصورة الفنية معيار نقدياً ، عبد الإله الصائغ، الناشر دار القائدي، ب د ، ب ت ، وهي نسخة مصورة عن وزارة الثقافة والإعلام ،ط2 بغداد 1987م،ص20.

215 - الشعر العربي المعاصر: روائعه ومدخل لقراءاته ، الطاهر أحمد مكي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص82.

5- الوحدة الوجدانية لتحقيق الوحدة العضوية.

6- التصوير المحسوس المجسد .

7- تشخيص المحسوسات والماديات.

8- التجريد للصفات المعنوية على المحسوسات.

9- التراسل ينتزع وظيفة حاسة من الحواس على حاسة أخرى(216).

عناصر الصورة الشعرية:

تعددت عناصر الصورة الشعرية في شعر (خالد زغبية) و(حسن صالح)، في العناصر الآتية:

أولا - التشبيه:

عنى البلاغيون العرب اعتناءً واسعا بدراسته، وإيضاح أركانه، وأقسامه، وأغراضه وهو أحد الأساليب المهمة في التعبير الشعري.

ويظن بعض النقاد أنّ التشبيه يضم شيئين متشابهين في ضوء التماثل الموضوعي الذي يجمع بينهما، ويبقى أمر الوجود مترابطة عن طريق التشبيه، وتحافظ على تفاصيلها ؛ فالتشبيه يعمل على توحيد بين صفات أمرين واقعيين ، فسمات الأول تساوي سمات الثاني، وهو غير موجود في الصورة، حيث الكل يتشابك مع الكل والواحد يندمج في الآخر، فالتشبيه يرجع إلى الوجود الموضوعي ، والصورة ترجع إلى طبيعة التجربة (217).

واليقين أن التشابه في الواقع الموضوعي بين أمرين غير موجود في الطبيعة والأدب " هكذا إذا استقرت التشبيهات وحدت التباعد بين الشئيين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب، وكانت لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، وذلك أنّ موضع الاستحسان ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح ، والمتآلف للنافر من المسرة ، والمؤلف لأطراف البهجة، أنك ترى بها الشئيين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين ، وترى

²¹⁶ -ينظر: الصور الفنية معيارا ونقديا ، ص132، والاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، سنة 1981م، ص391.

²¹⁷ -ينظر: الصورة الشعرية، ساسين عساف، دار مارون عبود، 1985م، ص74.

الصورة الواحدة في السماء والأرض وفي خلقة الإنسان وخلال الروض ، وهكذا طرائف
تنثال عليك إذا فصلت هذه الجملة ، وتتبع هذه اللمحة(218)" ، فالتشبيه حاضر في شعر
(خالد زغبية) يقول:

فسالت الدماء

على ثرى لبنان، كالأنهار

من أجل أن تبرعم زهيرة حمراء

من أجل أن ترفرف حمامة بيضاء

من أجل أن يسود الحب ، والسلام والاياء

من أجل هذا كله، قد ثارت الأحرار

وانطلقت طلائع الثوار

هادرة، كالسيل ، كالإعصار

تعصف بالاشلاء من فلول

عصابة الأشرار(219)

يصور الشاعر انبثاق الثورة في لبنان بالإعصار القوي، فقد شبه سيلان الدم على الثرى بجريان
الأنهار على الأرض (فسالت الدماء ، على ثرى لبنان كالأنهار) دلالة على كثرة الدم المناسب
من أجل تحرير الوطن، وأن يحيا أطفاله في ربوعه بسلام ، ويكاد أن يجمع النقاد على أن لغة
الشعر لغة رمزية ، وهناك من يقول: "حيث الرمز هناك الشعر(220)"، ومن هنا ندرك دلالة الرمز
في التشبيه زهيرة حمراء ، وحمامة بيضاء، شبه الشاعر الأطفال بزهيرة حمراء ، والغرض منه
أن يعيش الأطفال في وطنهم بسلام، هذا السلام لا يكون إلا بالتضحية من أجلهم بالدم، و الذي
يرمز له باللون الأحمر، وكذلك يجمع بين الحمامة واللون الأبيض، للدلالة على السلام، والرخاء

218 - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح، هـ ريتز، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ص116.

219 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، من أجل هذا كله، ، ص54.

220 - الصورة الشعرية، ساسين عساف ، ص92.

، وقد وظف الشاعر تشبيهين آخرين في هذه الأبيات (وانطلقت طلائع الثوار هادرة، كالسيل، كالإعصار).

حيث شبه مقاومة الشعب اللبناني ضد الأعداء، بالسيل والإعصار، الذي يقتلع ويقضي على كل شيء يقف أمامه .

كما نشاهد حضور التشبيه عند الشاعر حسن صالح، مثل قوله:

وَبَقِيَتْ مَا بَيْنَ الْخُرَابِ؛ وَالْدِيَارِ الْخَاوِيَاتِ

أَقْتَاتِ مِنْ عَشْبِ الْكِنَاسَةِ؛ وَالْفَتَاتِ

مَتَقَلَّصِ الْوُجُنَاتِ أَصْفَرِ مِثْلِ أَوْرَاقِ الْخُرَيْفِ

وَأَجْوَعِ عِمْلَاقِ مَخِيفِ

أَبْدَأْ يَطَّارِدْنِي؛ وَلَا أَجِدِ الرَّغِيفِ

فِي الْحَرْبِ؛ لَا أَجِدِ الرَّغِيفِ

وَأَجْوَعِ عِمْلَاقِ مَخِيفِ(221)

وظف الشاعر في هذه الأسطر تشبيهين : (متقلص الوجنات أصفر مثل أوراق الخريف ، والجوع عملاق مخيف) في تجسيد الفقر الذي يفقد الأبدان حيويتها وإشراقها، ويغير لونها، وهو العدو الفتاك ، والخصم المهلك، الذي يمنع ويحظر الإنسان القوت، وأسباب العيش في حياة كريمة، وإذا كان (الفقر)، الغريم خلقته وأنشأته الأنظمة الاجتماعية الطاغية، فالحرب عدو ألزمته الأمم والشعوب الباغية الظالمة على المظلّمين والمضطهدين، وهي لا تختلف عن الفقر في سحق الأجسام ودمار الإنسان.

ثانيا - الاستعارة:

221 -ديوان بعد الحرب، حسن صالح، درب الضياع،ص60.

تعد من أهم وسائل الصورة الشعرية، لأنها قادرة على تجسيم ووصف المشاعر العميقة، وإخراجها وتصويرها تصويراً ، يظهر عن حقيقتها وجوهرها بشكل يجعلنا نتأثر بتأثيرها غائراً بما تندمج عليه ، فهي أداة توصيل متقنة تجسد ما يضطرب في صدر الشاعر، وتحوله إلى مستقبلين بطريقة مقنعة.

وتلك الميزة الفنية منحتها أهمية كبيرة، جعلتها تحوز منزلة واضحة في النقد الحديث ، بل إنها اتخذت مقياساً للتمييز (222)، ولم يكن النقاد القدامى ساهين عن قيمة الاستعارة، ودورها في التصوير الشعري، فقد سبق لـ(أرسطو) أن أيقظ إلى هذا المقياس الجسيم حين ذهب إلى "أن امتلاك ناصية الاستعارة كان ولا يزال من أعظم الأشياء لأنها الشيء الوحيد الذي لا يلقن، وهي أيضا سمة العبقرية الأصيلة (223)" كما أدرك أهميتها النقاد العرب المحدثون ، وعلوا من مكانتها حتى أنهم اعتبرها الحجر الأساس في البناء الشعري ، ولا يتم من غيرها "فلا استعارة أمر أصيل في الشعر بل نكاد نقول إنها خيوط نسجة ، هي منه كالنحو من اللغة ، وكما اطردت اللغات قبل أن يعرف متكلموها القواعد، ويفطنوا إلى وجودها، كذلك صدر الشعراء عن الاستعارة، بفطرتهم، دون معرفة نظرية، ولا وعي تحليلي لطرق استعمالها(224)" ومن أمثلة الاستعارة في شعر (خالد زغبية) قوله

ولحروف الخضر في أشعارنا

دوما تصارع

موجة اليم ، تصارع

رغم ليل الليل، والقرصان.

لكنا نجدف

نحو شيطان السلام

222- ينظر: التصوير الشعري التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعرية، عدنان حسين قاسم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، ط1980، م1، ص81.

223 - ، الاستعارة، جون مدلتون مؤى، تر، عبد الوهاب المسيري، مجلة المجلة، العدد172، ابريل سنة 1971م.

224 -النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، مترجم عن الأستاذين لانسون ومابيه، محمد منذور، نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع، ص51.

وعلى مرفئنا النائي.

سنرسو فرحيننا.

ثم نهتف :

إننا منتصروننا (225)

اجتماع الاستعارة بنوعيتها في هذه الأسطر، حسب مصطلح البلاغيين القدماء، ففي الأبيات الأولى تجد الاستعارة التصريحية، في الشاعر (الحروف الخضر) وحسب الموروث، يقصد بـ(الخضر) تلك الشخصية الخالدة، حيث شبه بالخضر، والتي تحمي وتحرس البحر، وفي البيت الذي يليه باستعارة تصريحية في قوله: (دوما تصارع موجة اليم، تصارع)، إنه يدافع ويواجه العدو والشرس، من أجل حماية الشعب، وبالرغم من عتاد وقوة الخصم، إلا إنه ظل يقاوم حتى وصل بهم مرفأ السلام والانتصار، وأما الاستعارة المكنية ففي البيتين السابع والثامن في قوله: (وعلى مرفئنا النائي - سنرسو فرحيننا) أي كما تجتاح السفن الأمواج وهي في وسط البحر ثم بعد ذلك تعود وترسوا في الميناء بعد رحلة طويلة من مواجهة المخاطر كمقاومة الإنسان للأمواج البحر وخروجه إلى شاطئه بسلام .

وأما في شعر (حسن صالح) فالاستعارة كانت حاضرة كقوله:

وَحِينَ يَرْتَفِعُ الْقَمَرُ

مِنْ خَدْرِهِ الْمَسْحُورِ يَرْتَفِعُ الْقَمَرُ

متضرج ألوجنات، يحبو خلف هفهاف السحاب

ويغسل الضوء المقابر، والمآذن، وألقاب

تمشي حفاة للحقول

إلى أراجيح الشجر

225 -الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، ص80.

أَنَا وَالصَّحَاب

نَحْكِي حِكَايَاتِ عَذَاب

وَنَظْلُ نَعَبْتِ بِالتَّمْرِ

وَنُعَذِّبُ الْقَطَطَ الْهَزِيلَةَ وَالْكَلابَ (226)

في هذه الأبيات استخدم الشاعر الاستعارة المكنية في جل أبياته، وجعل للقمر (خدرا) مسحورا يقضى فيه الليل، ويبرز منه، كما له ستائر، فالخدر القمر هفهاف السحاب، إذا علت القمر من ورائه ملطخ الخدود، حتى إذا أتم نوره وسطع، ينظف الضوء منازل الأحياء، سواء أكانت منازل الأغنياء ذات الأسقف العالية والمستديرة، أو أكواخ الفقراء، لا يمنع القمر ضياؤه عن مدافن الأموات، ولا عن الأماكن المخصصة للشعائر الدينية، كما يلبس الأشجار في الأجمة الحسن والجمال، وأما الناس فتتم سعادتهم في ضوء البدر، وبروق السهر، فيتطلق الرفقاء إلى الطبيعة يجنون ثمار الأشجار، ويتلاعبون بالحيوانات الأليفة، ويسردون القصص الظريفة، وقد أذهلهم الجمال خيانة الزمن، وتناستهم المحنة عن توفي الحذر؛ فندفعوا على فطرتهم، يشربون من عيون أذة دون ذعر أو قلق، وإنّ الشاعر يستعطف بالألفاظ ليجسد ما بدخله من عوالم متوهمة، فيصور واقعه الطبيعي والاجتماعي والنفسي تصويرا جديدا، تحول هذه العوالم الداخلية في هيكل جمالي منظم ليصير التشكيل المماثل الشعري لهذا العالم الخارجي (227).

فالشاعر جمع بين (المقابر، والمآذن، والقباب) في علامة دالة إلى أنّ خاتمة الناس الفناء والموت؛ ليجنوا ثواب عبادتهم وطاعتهم، وفي تلك الإشارة دعوة إلى التواضع والبساطة، وتذكير الإنسان بأصله الترابي، ومن هنا كان (الشي حفاة للحقول).

كما أجمع بين (القطط الهزيلة والكلاب) لأنهما خصمان لا يجتمعان، ولا يتوسط للقطط ضمورها حتى تنجو من العذاب، ويقدر الناقد أن يجد للتعبير الرمزي في الشعر معان

226 -ديوان بعد الحرب، حسن صالح، درب الضياع، ص62.

227 -ينظر: الصور الشعرية عند أبي القاسم الشباني، مدحت سعد الجبار، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، سنة 1984م، ص5.

متعددة، وتأويلات كثيرة، وكلما تعددت الدلالات كان مثمر الرمز وقوة أسره وتأثيره، فقد نعت القصيدة الشعرية "بأنها شيء يقول شيئاً ويعنى شيئاً آخر" (228).

ومن أمثلته عن الاستعارة التصريحية يقول:

أُنِّي أَهْدِي إِلَى كُلِّ جَرِيدِهِ

بَانَةٌ خَضْرَاءُ مِنْ أَزْهَارِ قَلْبِي

وَأَغَارِيدِي وَحَبِّي

فِيَعِيدُونِي قَصِيدِي

وَأَضَامِيمِ وَرُودِي

كجنازات، مع بسمّة شكر

بسمّة صفراء يهديها إليّ الأغبياء

آه ما أفضح أن يبقى

مصير الفكر في أيدي الدعاة الأغبياء!!! (229)

في بداية هذه الأبيات جاء بالاستعارة تصريحية، فالشاعر لا يرشد إلى الجريدة (بانة)، وإنما يمنحها قصيدة (كأنها بانة خضراء) غير أنّ (بانة) ليست من أشجار الطبيعة بل من ورود فؤاده، ويفاجأ الشاعر بسترجاعها إليه، فلم يقدّر لها الحمقى الغافلون المسيطرون في الإذاع، فيردوها إليه كالنعمش)، ومعها رسالة امتنان تخطيها بشاشة صفراء، إلاّ إنّنا نلاحظ إنّ قوله (كجنازات، مع بسمّة شكر، مشوش الوزن).

ثالثاً - الكناية:

228 - ينظر: نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، ديفيد بشيندر، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1996م، ص17.
229 - من حسن صالح إلى على الرقيعي، نشرت في جريدة الليبي بتاريخ، 30-7-1959.

هي ترك الإفصاح عن ذكر شيء إلى ذكر ما يفعله ، لينتقل من المذكور إلى المتروك ، والكناية لا تخرج عن الأجراء الثلاثة هي: طلب صفة من الصفات المعنوية ، طلب نفس الصفة من الموصوف فينتقل منها العقل إلى من شهر بها تصريح الصفة بالموصوف معادون إنساب الصفة للموصوف مباشرة، وإنما تنسب لشيء يتعلق بالموصوف (230).

ومن أمثلة الكناية عند الشاعر خالد زغبية قوله:

يا رفقي

في النضال المر... في السجن الكبير

في ليالي السهد ... في الحقد المرير

في هوى الحرية الحمراء في كل مصير(231)

في قوله (في النضال المر- في السجن الكبير - في ليالي السهد- في الحقد المرير في هوى الحرية الحمراء في كل المصير)، كل هذه الأسطر كناية عن صفة من الصفات المعنوية ، وهو شجاعة وكشيمة الشعب ضد الاستعمار الغاشم الذي جث على أنفاسهم فجعلهم يشعرون وهم في وطنهم وكأنهم في سجن ، وقلوبهم مثقلة غيضا وحقدا على هذا العدو المعتدى الذي اغتصب أرض الوطن، وإنه لا يوجد وسيلة من الخلاص منه، إلا بالنضال في سبيل تحريره ، ففي (الحرية الحمراء) كناية عن صفة حيث تم وصف الموصوف(الحرية) دلالة على إن الحرية لا تنال إلا ببذل الدماء، فاللون الأحمر يرمز إلى إن طريق الحرية ثمين ويتطلب تقديم تضحيات كبيرة.

ومن أمثلة الكناية في شعر حسن صالح قوله:

ويعصر الخمر

لسيد من الإيطاليين

230 -ينظر: مفتاح العلوم: مالك سراج الدين أبي يعقوب يوسف ابن ابي بكر محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتبه هوامشة وعلق عليه نعيم زر زور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1403، 3هـ، 1983م، ص402.
231 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، إلى علي الرقيعي، ص65.

منتفخ البطن وأحمر الخدين

وفي أصابع اليدين

خواتم ماسية، ترمقها العيون (232)

في قوله: (منتفخ البطن، وأحمر الخدين، وفي أصابع اليدين، خواتم ماسية ترمقها العيون) كناية عن موصوف، وهو العدو المستعمر المنتفع الذي يشغل الناس لخدمته ويتمتع هو بالراحة والرفاهية والاستجمام والغنى، ولا يخفى أنّ قوله (يعصر الخمر) مجاز مرسل صلته تقدير ما يكون ؛ فهو إنما يعصر عنب ليصبح خمرا فيها بعد .

وأما من الصور الشعرية الحديثة فجاءت بالعناصر الآتية:

أولاً - التشخيص:

يدل مصطلح (التشخيص) بمعنى جليا، كما ورد عند (عبد القاهر الجرجاني) بقوله: "إنك لترى بها الجماد حيانا ناطقا، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس المبينة، والمعاني الخفية بادية جلية" (233).

والتشخيص براءة تجعل الذهنيات والمعنويات، أي غير محسوسة تتحول إلى مخلوقات حية تشعر وتتحرك وتخفف وتتبنى سبيلها إلى غور الشاعر فتصير شطر من ذاته، ويبرز من نتيجتها في ألفاظه بعد أن يشكلها إبداعه إلى مظهر واضح للعيان، لها صورة وأبعاد وألوان.

وهذا (خالد زغبية) يرسم للقارئ تشخيصا جديدا، ليس من الطبيعة الصامتة، وإنما من المجردات يقول:

الليل، يا حبيبتى، يحط كالغراب...

على نرى أشواقنا .. على هضاب

232 - ديوان أغنية العاشق، حسن صالح، حكاية معتيقة، ص82.
233 - أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، تصحيح الشيخ محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا، ط2، دار المنار، القاهرة، ص33.

آمالنا الفسيحة الأبواب...

وينشر الظلام... مدية من القلق.. (234)

استعاض الشاعر في هذه الصورة عن الإنسان بالحيوان، والأهم أنه، استطاع أن يجد من العالم الكائنات الحية، مثالا للتشائم وسوء الحظ، وعلى السواد الذي يملأ وجدانه ويحيط به من مختلف الأرجاء، وحتى وإن كان هذا التشخيص من عالم الحيوان، ولكنه على أي حال من واقع حي ينبض بالحياة.

فالشعراء يقصدون أن يلمس الحقيقة، وأن يزيدوها إظهارا، وإدراكا بما تمكنوا إلى ذلك من وسائل فنية، يقول (حسن صالح):

ولاتياسى سوف يأتي الرب بيع بانفاسه، وشذاه العطر

وتتخذ الأرض زينتها وتص بح تلك الربى تزدهر

ويصفو أديم السماء البديع ويحلوننا في المساء السمر (235)

واضح من النصوص السابقة ارتباط الشاعر بالأرض، وجمال الطبيعة الخصبة تلك التي على أرجائها تربي ولعب والشعر عليها بالفرح والهدوء والراحة والطمأنينة، والاستجمام بهوائها الجميل ورائحتها العطرة، وخاصة في فصل الربيع عندما ترتدي الأرض كامل حلتها، فكأن علاقتهم بها ليست علاقة مع جماد وإنما هي علاقة مع كائن حي يسمع ويرى، ويضحك ويحزن، بكل تضاريس طبيعته جباله، ووغابته، وسهولة.

ثانياً - التجسيد:

يعد التجسيد قرين (التشخيص) إذا كان التشخيص يقصد بها نقل المجردات إلى أجساد حية تتحرك في الحياة؛ فإنّ التجسيد يرتبط بالمستوى نفسه، غير أنه يركز على الجماد، فهو

234 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، أغنية في الليل، مرجع سابق، ص139.

235 - ديوان: بعد الحرب، حسن صالح، ظلال عابرة، مرجع سابق، ص38.

"يتحقق في الصورة الشعرية باقتران كلمة تشير دلالاتها إلى جماد بأخرى تشير دلالاتها إلى مجرد" (236)

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر خالد زغبية:

عبر الدياجي الجهام.

تجاوزت حد المكان..

تخطيت سور الزمان

لأجلك يامهجتي. (237)

فالشاعر في الصورة الأنفة جعل السور، وهو (الجماد) مقترنا بدلالة أخرى ليس من جنسه وهو (الزمان)، وهو في هذه الأبيات يخاطب محبوبته، أي أنه تخطي كل الصعوبات، وتجاوز المألوف الذي اعتاد عليه الناس، من أجلها فكل العقبات والعراقيل كانت كالسور المنيع في هذا الزمان.

ويزيد الشاعر (حسن صالح) من افتناء هذه الأدوات المادية في شعره، فيلجأ في هذه الأبيات الآتية إلى (الأبواب) الاقتراب موعد يقول:

إليك من مدينتي أخط كلمتين

والعيد يا حبيبتي على الأبواب

وأرسل الأشواق قبلتين

على جناح الريح والسحاب (238)

236 - في النص الأدبي، سعد مصلوح، دراسة أسلوبية إحصائية، ط1، 1414 هـ، 1696 م، الناشر: للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص195.

237 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، خواطر لاجيء، ص 49.

238 - ديوان أغنية العاشق، حسن صالح، إلى حبيبة نائية، ص31.

جعل الشاعر في هذه الصور السابقة (أبواب) وهي(جماد) مقترن بدلالة أخرى ليست من جنسه هو (العيد) ،فهو يخاطب حبيبته، إنه قد هدّه الشوق للقيها، ويرسل لها توقيه وگرامه ولهفته إليها مع نسيمات الرياح والسحب ،ويخبرها أن وقت اللقاء معها قد بات قريباً جداً.

ثالثاً - التجريد:

إذا كان فيه تماثل وتجانس كبير بين التشخيص والتجسد، حتى أصبح الكثير من النقاد يخلط بينهم أحيانا ويجعلونهما بمعنى واحد؛ فإن التجريد يختلف عنهما ،وهو يعني نقل المحسوسات أو تحويل (الماديات) إلى مجردات ليخرج بها من تحكم الحواس إلى مدى واسع غير محصور وهو "وتحويل المحسوسات من مجالها المادي الذي هو طبيعتها، إلى مجال معنوي وهو من خلق الشاعر"(239).

وهذا ما صوره الشاعر (خالد زغبية) في قصيدته(من أجل هذا كله)، عندما حوّل الثوار الكائن الحي المشاهد بالحواس إلى معنى تجريدي صرف ، والاندفاع بكل قوة وشجاعة على حصون وقلاع العدو كالسيل والتيار ،في قوله:

وانطلقت كتائب الثوار

هادرة، كالسيل، كالتيار

تكتسح الحصون والقلاع والأسوار(240)

فالثوار قد تحولوا بكاملهم إلى معاني مجردة (التيار)، فانقلب المادي بذلك إلى تجريد مقصود من الشاعر في موقف الحماسه العارم.

وقد صور حسن صالح التجريد في قصيدته (أغنية حب وسلام) يقول:

حبيبتى ياصورة تعيش في الخيال

بسيطة الخطوط والألوان والظلال

239 - تطور الأدب الحديث في مصر، من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثامنة، أحمد هيكال ، دار المعارف القاهرة ط1، 1994م، ص 334، 335.

240 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، من أجل هذا كله ،ص55.

وحية في قلبي الحالم بالوصال (241)

حول الشاعر حبيبته مخلوق حي الناظر بالحواس إلى معنى تجريدي محض هو من (صورة)، فحبيته قد تحولت بكاملها إلى معنى مجرد، هو (الخيال) فنقلب المادي بذلك إلى تجريد مقصود من الشاعر تحويلها إلى صورة جميلة بسيطة في الرسم وتلوين وتظليل.

رابعاً - تراسل الحواس:

هو أن تتداول الحواس مهامها في تصور الشاعر، وهي من الصور الصعبة التي تحتاج إلى ابتكار خاص من الشعراء "وهي وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى، فتعطى المسموع ألواناً، وتصير المشمومات أنفاساً، وتصبح المرئيات عاطرة" (242) ومن صور تراسل الحواس ما استعان به الشاعر خالد زغبية في قوله:

فمن شريد يسف التراب من شظف يكفكف الجوع .. قد شطت به الدار (243)

قدم الشاعر صورة غير نمطية عن (كفكفة الجوع) فأضاف شيئاً خاصة بالعين وهي كفكفة الدموع أي مسح دموع العين، دلالة لكبح وقمع شدة الجوع بسبب الفقر والحرمان.

ويصرح الشاعر حسن صالح بتراسل الحواس تصريحاً في قوله:

إن تمشي الربيع والدفء في الأغصان

والدوح، والحقول البعيدة

وأتاك النسيم يحمل أنفاس الأزاهير

والورود الوليدة (244)

241 - ديوان بعد الحرب، حسن صالح، أغنية حب وسلام ص71.

242 - النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار نهضة، مصر القاهرة، 1973م، ص395.

243 - الأعمال الشعرية الكاملة، خالد زغبية، إلى أحمد قنايه، ص278.

244 - ديوان أغنية للعاشق، حسن صالح، أذكريني، مرجع سابق، ص41.

استعان الشاعر من صور تراسل الحواس في تقديم صورة غير مألوفة عن (دفع الربيع) فدفع نشعر به بالإحساس، ولا نراه بالعين المجردة، لكنّ الشاعر أبقى إلاّ أن يبصره بالعين، وكأنّ رؤية (دفع الربيع) يحمل للنفس معنى لا يحمله الإحساس به وحدة، بل لا بد فيه من الاستعانة بحاسة أخرى تعطى لدفع الربيع رائحة زكية وهو يشم الزهور، فأصبح أريج الورد أنفاسا تبعث على الانتشاء السرور.

الخاتمة

الخاتمة :

وفي الختام يعد موضوع الاغتراب في الشعر من المواضيع المحاورية التي عكست هموم الشعراء والمجتمعات على مر العصور، فقد سلط الشعراء الضوء على معاناة الإنسان المغترب، سواء كان اغتراباً نفسياً أو اجتماعياً أو حتى ثقافياً وكان الاغتراب أداة تعبيرية قوية تتيح للشاعر أن يعبر عن حالته الداخلية، من الوحدة والعزلة، وكذلك عن قضايا التفرقة والانقسام في المجتمعات.

وقد عبر الشاعران الليبيان (خالد زغبية، وحسن صالح) بصور معبرة عن الاغتراب في شعرهما والذان يعدا نموذجاً للشعر الحديث، والمعاصر، حيث يحملان شجون الشعب وخاصة الشباب، وهم الذين يعانون شدائد الحياة ومصائبها في فترة استيقظت العيون على

مظاهر التقدم عند الغرب، بما أوجدت للفرد من وسائل ترفيه ومعرفة، وهي تعارض المورث الشعبي وقيمنا الأخلاقية ومبادئنا الدينية، فكان الاصطدام بين الواقع والتطلع، بين المطلوب والمتاح ، الذي بدوره نمت بذرة (الاغتراب) وتبلورت عند الشعاعين نتيجة لهذا التضارب. وفيما يأتي ملخص لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1- إن الاغتراب ظاهرة بشرية وجدت في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، وفي كل الثقافات، لكن بمستويات متباينة.

2 - الاغتراب دلالات في التراث العربي والمعاجم العربية تتخطى مفهوم الرحيل وهجر الأوطان.

3 - إن ظاهرة الاغتراب حتمت نفسها لأن تكون جزءا من العمل الأدبي، إذ لقي الاغتراب صدها في نفوس الشعراء من العصر الجاهلي وتابع مساره عبر العصور.

4 - أزالت هذه الدراسة بعض الغبار عن أسماء سطعت في سماء الأدب الليبي في عصرنا، وبذلك فتحت المجال أمام الباحثين لدراسات مستقبلية تظهر عن بعض ومضات تلك النجوم .

5 - يظل الاغتراب شديد التلبية للمتطلبات الاجتماعية والسياسية والنفسية، إذا لا يمكن للأدب أن ينمو بعيدا عن المناخ العام للمجتمع.

6- قد ينمو الاغتراب ويزداد نتيجة لمعاناة الإنسان مشكلات وأزمات عصره.

7 - تتداخل أنواع الاغتراب مع بعضها بعض ، لأنها تؤدي جميعها في النهاية إلى الفشل في التكيف مع الظروف الشائعة في المجتمع ، وحتى فقدان الإحساس معنى الحياة.

8 - إن الإحباط الذي يعترى الإنسان يزيد من تعمق حلقات الاغتراب.

9- إن حالة الاغتراب لدى الشعاعين تتوافق طرديا مع حالة الوعي الذاتي.

10 - لكل شاعر من الشعاعين سلوكه الخاص به في التعامل مع المواقف التي تواجهه وكان هذا واضحا في أغلب أشعارهما ، فشعر (خالد زغبية) يتصف بالتعمق والرصانة ، وبينما

شعر(حسن صالح) يتصف بالبساطة والسهولة ، وكان ظاهرا من خلال اللغة والألفاظ والتراكيب و الأساليب والصورة الشعرية، ولعل هذا هو السبب في كثرة ما نجده في شعر (حسن صالح) من خلل بخلاف شعر (خالد زغبية).

11 - وجدت الصورة البلاغية صداها في نفسي الشعارين إذ نسجا صور فنية رائعة حاولوا فيها التفرد بصور غير مألوفة كثيرا في الشعر.

وأخير، هذا غاية جهدي ، ويعلم الله ما قصرت في جهد يبذل ، ولا عاقنتني صعوبة واجهتني فإن كنت قد وفقت؛ فالتوفيق من عند الله .. وإن كانت الأخرى فإنما يشفع لي نقص الخبرة وقلة الثقافة وعجز الإمكانيات، وشح المصادر.

وعلى الله قصد السبيل، ومنه العون.

المصادر والمراجع

أولا - المصادر:

- 1 - أغنية العاشق ، حسن محمد صالح، وزارة الإعلام والثقافة، الإدارة العامة للثقافة، الكتاب الشهري ، العدد التاسع، 1973م.
- 2 - الأعمال الشعرية الكاملة ، خالد زغبية، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام ، إدارة الكتاب والنشر، تنفيذ دار الصداقة ، ط1 ، 2007م.
- 3 - بعد الحرب حسن محمد صالح ، إصدار وتوزيع : دار النشر الليبية، ط1، 1963م.

ثانيا - قائمة المراجع:

أولا - المعاجم:

1. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، ص، ب1085، بيروت.
2. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تح محمود خاطر مكتبة لبنان، 1995م.
3. معجم الشعراء والكتّاب الليبيين، عبدالله مليطان، الناشر: دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر/2001م.
4. معجم الشعراء الليبيين عبدالله مليطان، الناشر: دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع.
5. معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة- مصر مكتبة الشروق الدولية، دار الدعوة، ط/4، 2008م.

6. لسان العرب لابن منظور، ج1، تح عبد الله على الكبير محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي دار المعارف 19 كورنيش النيل، القاهرة، ج،م،ع.
 7. مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.
- ثانياً - الكتب:**
1. اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عباس إحسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1978م.
 2. اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، د يوسف حسن بكار، دار المعارف، مصر، د،ط، 1971م.
 3. اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1978م.
 4. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح، هلموت ريتز، الناشر: استانبول، مطبعة وزارة المعارف، 1971م.
 5. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح الشيخ محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا، ط2، 1905م، مصر مطبعة عيسى الباني.
 6. اكتساب اللغة، مارك ريشيل، ترجمة كمال بلكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، كلية التربية، جامعة اللبنانية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1404هـ، 1989م.
 7. الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، عبد الرحمن عفيف، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1987م.
 8. الأدب ومذاهبه، محمد منذر، دار نهضة، مصر، ط6، 2006م.
 9. الإبداع في الفن، قاسم حسين صالح، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د.ط، 1988م.
 10. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، سنة 1981م.
 11. الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر، عدنان قاسم، طرابلس ليبيا، 1980م.
 12. الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، محمد كريم الكواز، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1426هـ، 2006م.
 13. الأسلوب والأسلوبية، محمد رمضان الجربي، منشورات، ELGA، 2002م.
 14. الاغتراب، ريتشارد شاخت، تر: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980م.
 15. الاغتراب- التمرد قلق المستقبل، إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م.

16. الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن حلوان الروائية، يحيى العبد الله، دار الفارابي، عمان، الأردن، د، ط، 2005م.
17. الاغتراب سيرة ومصطلح، محمود رجب، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988م.
18. الاغتراب عند إريك فروم، حسن حماد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995م.
19. 19 - الاغتراب في الشعر الأموي، فاطمة حميد السويدي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1997م.
20. الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، سميرة سلامي، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط 2006/1م.
21. الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر لمرحلة لرواد، دراسة، محمد راضي جعفر منشورات اتحاد الكتاب العربي 1999م.
22. الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، محمد راضي جعفر، دار المعترف للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2013م.
23. الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري، (دراسة اجتماعية نفسية)، أحمد علي إبراهيم الفلاح، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2013م.
24. 24 - الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د ط، 1958م.
25. الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، إسكندر، نبيل رمزي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988م.
26. الإنسان والاغتراب، د. مجاهد عبد المنعم مجاهد، سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1985م.
27. الايضاح في علوم البلاغة، لأبي المعالي جلال الدين الخطيب القزويني، تعليق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط3، 1971م.
28. التصوير الشعري التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعرية، عدنان حسين قاسم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، ط1، 1980م.
29. التفسير النفسي، عز الدين إسماعيل، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، د، ط 1963م.
30. الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، يحيى وهيب الجبوري، عمان، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، ط/1428، 1هـ، 2008م.
31. الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي ففي دراسة الشعر الجاهلي، كمال أبو ديب، الهيئة المصرية العامة لكتاب، 1986م.
32. الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ دار عصمي للطباعة و النشر القاهرة، د. ط، 1982م.

33. الشباب العربي في المهجر، كايد هشام، مراجعة: همام غصيب، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، ط1، 2008م.
34. الشخصية واضطرابات النفسية رؤية في إطار علم النفس الإيجابي، سليمان عبد الواحد إبراهيم، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014م.
35. الشعر الحديث في ليبيا دراسة في اتجاهاته وخصائصه، د عوض محمد الصالح، أستاذ مشترك جامعة قاريونس، 2002م، توزيع المعارف منشأة بالإسكندرية جلال حزي وشركاء،
36. الشعر العربي المعاصر: روائعه ومدخل لقراءاته، الطاهر أحمد مكي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1986م.
37. الصور الشعرية عند أبي القاسم الشباني، مدحت سعد الجبار، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، سنة 1984م
38. الصورة الشعرية، ساسين عساف، دار مارون عبود، 1985م.
39. الصورة الفنية معيار نقديا، عبد الإله الصائغ، الناشر دار القائدي، ب د، ب ت وهي نسخة مصورة عن وزارة الثقافة والإعلام، ط2 بغداد 1987م.
40. العقد الفريد، لابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد 404هـ، دار الكتب العملية، بيروت، لبنان، ط1.
41. الغربية والحنين في الشعر الجزائري الحديث، عمر بوقرورة، منشورات جامعة باتنة، د، ط، الجزائر، دت.
42. الغربية والحنين في الشعر العربي الحديث، ماهر حسن فهمي، معهد البحوث والدراسات، دب، دت، د ط.
43. الفلسفة والشعر، مارتن هيدجر، ترجمة وتقديم: د. عثمان أمين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، سنة 1963
44. القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، عبد الله التطاوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، دت.
45. الكافي في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، د. عيسى علي الكاعوب، على سعد الشتيوي، المنشورات الجامعة المفتوحة طرابلس، ط1، 1993م.
46. اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسن، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب 1412 هـ، 1992م.
47. المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا، وليد شاكرا النعاس، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2014م.
48. الموقف النفسي عند الشعراء المعلقات، مي يوسف خليفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
49. النص الأدبي التشكيل والتأويل سعاد عبد الوهاب العبد الرحماني، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م.

50. النظرية الأدبية المعاصرة ،رامان سلدن، تر: جابر عصفور، قصور الثقافة القاهرة،1966م.
51. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سنة 1973م.
52. النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة ،مترجم عن الأستاذين لانسون ومابيه، محمد منذور، نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع.
53. بناء لغة الشعر: جون كوين، تلا: أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة.
54. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، ط8.
55. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القران ،لابن أبي الاصبع المصري.
56. تطور الأدب الحديث في مصر، من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثامنة، أحمد هيكل ، دار المعارف القاهرة، ط1، 1994م
57. تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل، دمشق، د، ط، 1379هـ، 1959م.
58. جماليات المكان، غاستون، ياشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، ط3، 1987م.
59. جدلية الذات والآخر في الشعر الاموي، فاضل أحمد القعود، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م.
60. حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني ،دار الكتاب العربي،بيروت، ط2، 1980م.
61. دراسات في سيكولوجية الاغتراب، عبداللطيف محمد خليفة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، طبعة 2003م.
62. دراسات نقدية في الأدب العربي، د.محمود الجادر، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، د، ط، 1990م.
63. سر الفصاحة، الأمير أبو محمد ابن سنان، عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي، تح: علي فودة، مكتبة الخانجي القاهرة، ط، 1994م.
64. شرح القصائد التسع المشهورات، صنعه أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ،تح أحمد خطاب ،القسم الأول، دار الحرية للطباعة،،بغداد،1973-1993.
65. شعراء العرب عصر الإسلام ،يوسف عطا الطريفي، الأهلية للنشر والتوزيع ،المملكة الأردنية، عمان، ط2، 2009م.
66. طبيعة المجتمع العراقي في العصر العباسي المتأخر، حسين علي قيس محمد القيسي، دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ط 1/2007م.
67. فن الشعر العربي الحديث تحليل وتذوق، إبراهيم عوض ، المنار للطباعة، د ط 1426، 2006م.
68. في النص الأدبي ، سعد مصلوح، دراسة أسلوبية إحصائية، ط1 ، 1414هـ 1696م، الناشر: للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

69. في بنية الشعر العربي المعاصر، لمحمد لطفي اليوسفي، سراس للنشر، تونس، ط 1985م.
70. قراءة الأدب الإسلامي والأموي، عبد العزيز الموفي، غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط6، 2007م.
71. قضايا الشعرية : رومان ياكبسون، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1988م.
72. مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين، ج الثالث، 2001م.
73. مفاتيح القصيد الجاهلية، عبد الله بن أحمد الفيق، عالم الكتب الحديث، غريد الأردن، ط1، 2014م.
74. مفتاح العلوم: مالك سراج الدين أبي يعقوب يوسف ابن ابي بكر محمد بن علي السكاكي، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ط1403، 3هـ، 1983م.
75. مقدمة للشعر العربي، أدونيس، دار العودة بيروت، 1979م.
76. منهاج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب سنة 1407هـ، 1986م
77. منهج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن القرطاجي، حازم بن محمد بن حسن الأنصاري، تح: د.محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط3، سنة 1986م.
78. موسوعة العلوم الاجتماعية، ميشيل مان، ترجمة عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م
79. نظام الخطاب، ميشيل فوكو، تر: محمد سيلا ، دار التنوير، ط1، 1970م.
80. نظرية الأدب، رينيه ويليك وأوستن وارين، ترجمة محيي الدين صبحي ،المؤسسة العربية للدراسات ، والنشر، بيروت، ط1، سنة 1987م.
81. نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، ديفيد بشيندر، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1996م.
82. نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، لزهة مساعدي ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، شارع محمد مسعودي، القبة القديمة، الجزائر الطبعة 1434هـ، 2013م.
83. نظرية الاغتراب، السيد علي شتا، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1993م.
84. نظرية علم النص، رؤية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، سنة 2009م.
85. نظريات نقدية وتطبيقها، أحمد رحمانى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2004م.

ثالثا - الدواوين:

1. الإمام جعفر بن أبي طالب وآله - رضي الله عنه - نايف منير فارس ، مراجعة وتنقيح مركز البحوث والدراسات بالمبرة ، ط1 ، 1432 هـ / 2011م.
2. المجموعة الشعرية، أنشودة الحزن العميق، محمد الشلطي، وزارة الثقافة والمجتمع لمديني، ليبيا، دار الكتاب الوطنية بنغازي، ط1، 2013
3. المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، جبران خليل جبران، قدم لها وأشرف تنسيقها ميخائيل نعيمة، دار صادر، بيروت، ط1، 2002م .
4. ديوان: أبي نواس ،تح /بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتاب الوطنية هيئة أبوظبي للثقافة والتراث.
5. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، شرح حسن السندوبي دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط5، 2005م.
6. ديوان البلبل والوكر، إبراهيم الأسطى عمر، تح /جمعة عبد الباسط الدلال وعبد اللطيف شاهين، مطبعة الإسكندرية، مصر، ط1، 1967م.
7. ديوان، الشريف الرضي، جمعه إحسان عباس، مج1، دار صادر، بيروت، ط1، 1958م.
8. ديوان، اللزوميات أو لزوم ما لايلزم، أبي العلاء المعري، وقف على طبعه وعلق على شرحه يوضح مبهمه ويعرب معجمه عزيز بك زند، ج/2 ،طبعة بمطبعة المحروسة بمصر، 1895م.
9. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرحه عبدا مهنا، دار الكتب العلمية بيروت، ط2 1994م.
10. ديوان :طرفه بن العبد، شرحه وقدمه له مهدي محم ناصر الدين ،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
11. ديوان، عبد الله بن قيس الرقيات، تح/ وشرح د،م حمد يوسف نجم، الجامعة الأمريكية بيروت، دار صادر بيروت.
12. ديوان، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د ط، 2012م.
13. ديوان عنتر بن شداد، تح/ محمد سعيد مولوي، مكتب الإسلامي، القاهرة، ط1، 1964م.
14. ديوان، قيس بن الملوح، رواية أبي بكر الوالي، دراسة وتعليق، يسرى عبد الغني دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.
15. ديوان: مالك بن الريب حياة وشعره، تح /نوري حمورى القيس، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية.
16. شعر هدية بن الخشرم العذري، يحيى الجبوري، دار القلم للنشر والتوزيع ،الكويت، ط2، (1406هـ - 1986م).

خامساً- المجلات والدوريات:

- 1-الاستعارة جون مدلتون مؤى، مجلة المجلة، ترجمة عبد الوهاب لمسييري، إبريل سنة 1971م، ع/172.
- 2- الاغتراب، أحمد أبو زيد، مجلة عالم الفكر، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ع/1 مج/10، 1979م.

- 3- الاغتراب في حياة المعري وأدبه، حسن جمعة، مجلة جامعة دمشق، مج/27، ع/2.1 دمشق 2011م.
- 4- الاغتراب في شعر محمد الشلطي، فاطمة الطيب قزيمة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب الزاوية، المحلية الجامعة، العدد السابع عشر، المجلد الثاني، أغسطس، 2015م.
- 5- الحس الاغترابي في أعمال روائية، غسان كنفاني، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية.
- 6- الزمكانية في شعر الصراع مع الروم، أبوتام والمتنبي وأبو فراس الحمداني نموذجاً، شيرين خليل أندرواس، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، 2019م.
- 7- الشعر ومعركة التحرير الوطني، الفصول الأربعة، العدد 6، أبريل، 1979م.
- 8- ملامح الاغتراب في شعر علي قودة، وردود فعله عليه، مجلة إضاءات نقدية، جامعة أزه الإسلامية، إيران عدد 27، أيلول 2017م.

الملاحق:

المولد والسيرة العلمية:

أولاً - الشاعر خالد زغبية: (245)

²⁴⁵ ينظر: الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، دقيرة زرقون نصر، ج2، ط2007، ص1، ص169.

ولد الشاعر (خالد علي محمد زغبية) في مدينة بنغازي عام 1933م، ثم التحق بالجامعة الليبية حيث حصل على ليسانس الآداب عام 1961م، وفي عام نفسه تخرج، ثم انتقل إلى طرابلس ليبدأ مسيرته المهنية كأمين إداري بمكتبة الصناعة واستمر في هذا المنصب حتى عام 1970م، ولاحقاً تدرج في المناصب، حيث عُيّن نائباً لإدارة التدريب بوزارة الإعلام، ثم رئيساً لقسم الفنون والآداب بالإدارة العامة للثقافة في وزارة الدولة، وأبدى اهتماماً كبيراً بالشعر منذ سن مبكرة ونشر أولى قصائده في جريدة الزمان عام 1954م،⁽²⁴⁶⁾ كما أثرت أعماله الأدبية المشهد الثقافي الليبي، وتم نشرها في العديد من الصحف المحلية مثل العمل، الحقيقة طرابلس الغرب، الفجر، الميدان، فزان، الرائد، اليوم، والثورة، بالإضافة إلى مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية، وبعض الصحف العربية، ونال شهادة تقدير خلال عيد العلم الأول في طرابلس عام 1970م، وشارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات الشعرية المهمة، مثل مؤتمر الأدباء الليبيين بطرابلس عام 1960م ومؤتمر الأدباء العرب في بغداد عام 1969م، وبالإضافة إلى مشاركته في المؤتمر العالمي ببلجيكا عام 1970م، وقد أسهم الشاعر أيضاً بعدة مؤلفات أدبية أثرت المكتبة الثقافية.

- 1- ديوان السور الكبير، ثلاث طبعات: 1964م، 1968م، وفي العام نفسه طبع طبعة ثانية (1968م).
- 2- ديوان أغنية الميلاد : 1966م.
- 3- صور من شعر الليبي المعاصر: 1972م.
- 4- شاعر المرأة الأول : 1974م.
- 5- ديوان غداً سيقيل الربيع: 1975م.
- 6- نقوش في ذاكرة التاريخ : 2005م.
- 7- الأعمال الشعرية الكاملة لخالد زغبية، منشورات اللجنة العامة للثقافة، 2007م⁽²⁴⁷⁾.

ثانياً - الشاعر حسن صالح:

²⁴⁶ ينظر: مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين، ج الثالث، 2001م، ص 276.
²⁴⁷ ينظر: كتب التراجم والدراسات: دليل المؤلفين العرب الليبيين، دار الكتب الوطنية، بنغازي، مطابع الثورة للطباعة والنشر، ص 120، 121.

وُلد الشاعر (حسن محمد صالح أبو قديم الدراسي) سنة 1934م، في مدينة قمينس الواقعة جنوب مدينة بنغازي، التحق بالجامعة الليبية، وحصل على درجة الليسانس في التاريخ عام 1967م، وطوال مسيرته المهنية، تقلد عدة وظائف عامة؛ وبدأ العمل كمحاسب في إدارة المصارف، ثم محاسبًا ماليًا بنظارة المعارف، وبعدها شغل منصب أمين إداري في الهلال الأحمر عام 1967م، وفي آخر حياته المهنية، عمل كمراجع مالي لفروع جمعية الهلال الأحمر حتى وافاه الأجل عام 1991م، وتميّز (حسن صالح) بكتابة القصة القصيرة، ونظم الشعر، ونُشر إنتاجه الأدبي في العديد من الصحف، والمجلات المحلية، من بينها ليبيا الحديثة، والضياء، والعمل، والرائد، والحقيقة، والزحف الأخضر، وجمع جزءًا كبيرًا من أشعاره في ديوانين مطبوعين؛ الأول بعنوان (بعد الحرب) صدر عن دار النشر الليبية في طرابلس عام 1963م، والثاني: بعنوان (أغنية العاشق) ونشرته وزارة الإعلام الليبية في طرابلس سنة 1973م، ويشير مقربون من الشاعر، بما في ذلك عائلته وأصدقاؤه، إلى وجود مجموعة من الأعمال الشعرية المخطوطة التي لم تُنشر بعد، والجدير بالذكر أنّ (حسن صالح) كان عضوًا في رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، وشارك بفعالية في العديد من اللقاءات والمهرجانات الشعرية خلال حياته الأدبية⁽²⁴⁸⁾.

248 - كتب التراجم والدراسات: دليل مؤلفين العرب الليبيين، دار الكتاب الوطنية، ص113، ومعجم الأدباء والكتاب الليبيين، عبد الله مليطان، 224/1، ومعجم الشعراء الليبيين، عبد الله مليطان، 387/1

الفهارس:

أولا - فهرس القرآن الكريم:

رق	ر. الآية	السورة	الآية
10	244	البقرة	﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا﴾

9	65	النساء	﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾
---	----	--------	--

ثانياً- فهرس الحديث الشريف:

رق.	الحديث	
14	رواه مسلم	"بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"
48	رواه الترمذي	والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت"

ثالثاً - فهرس المحتويات:

الصفحة	الموضوع
أ	الآية القرآنية
ب	الإهداء
ج	الشكر والتقدير
د	المقدمة
1	التمهيد
2	أولاً- الاغتراب في اللغة :
4	ثانياً - مفهوم الاغتراب اصطلاحاً :
	الفصل الأول - أوليات الاغتراب في الحياة
9	المبحث الأول - الاغتراب في التراث العربي
10	1 - الاغتراب في العصر الجاهلي
13	2 - الاغتراب في العصر الإسلامي
19	3 - الاغتراب في العصر الأموي
22	4 - الاغتراب في العصر العباسي
26	5 - الاغتراب في العصر الحديث
29	ثانياً - الاغتراب في الفكر الغربي:
29	1 - الاغتراب في مرحلة ما قبل هيجل
30	2 - الاغتراب عند معاصري هيجل
32	3 - الاغتراب عند هيجل
33	5 - الاغتراب بعد هيجل
	الفصل الثاني - الاغتراب وأنواعه ، و نماذج من شعر خالد زغبية وحسن صالح
39	المبحث الأول - الاغتراب وأنواعه

40	أولا - أنواع الاغتراب:
40	1 - الاغتراب الاجتماعي
42	2 - الاغتراب العاطفي
43	3 - الاغتراب السياسي
46	4 - الاغتراب النفسي
48	5 - الاغتراب المكاني
49	6 - الاغتراب الزمني
51	المبحث الثاني - نماذج من شعر خالد زغبية وحسن صالح:
51	الاغتراب الاجتماعي
55	الاغتراب العاطفي
58	الاغتراب السياسي
62	الاغتراب النفسي
66	الاغتراب المكاني
69	الاغتراب الزمني
	الفصل الثالث - اللغة والصورة الشعرية في شعر خالد زغبية وحسن صالح
75	المبحث الأول - اللغة الشعرية مفهومها وعناصرها
75	أولا - مفهوم اللغة الشعرية
76	ثانيا - عناصر اللغة الشعرية
	1 - المفردات
77	2 - معجم الألفاظ
85	3 - التراكيب
90	4 - الأساليب

97	المبحث الثاني - الصورة الشعرية مفهومها وعناصرها
98	مفهوم الصور الشعرية
100 - 99	عناصر الصورة الشعرية : أولاً - التشبيه
102	ثانياً - الاستعارة
106	ثالثاً - الكناية
108	أولاً - التشخيص
109	ثانياً - التجسيد
111	ثالثاً - التجريد
112	رابعاً - تراسل الحواس
114	الخاتمة
117	المصادر والمراجع :
126	الملاحق:
128	الفهارس
129	فهرس القرآن الكريم:
129	فهرس الحديث الشريف:
130	فهرس المحتويات